آخر العقارب

رواية

أحمد شوقي مبارك

t.me/twinkling4

جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضَــاد، الإلكترونية. ©

تمَ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب.

تأكد من أنك تقرأ هذه الرواية من قناة ضــاد الرسمية على تطبيق تيليجرام:

تمَ تجهيز هذا الكتاب الإلكتروني
بـواسـطـة:

مكتبة ضاد
t.me/twinkling4

لجميع الكتب، المجانية والمدفوعة،
وكل ما تشتهيه قريحتك الثقافية.

أحمد شوقي مبارك

آخر العقارب

رواية

دارك للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة©

إهداء

إلى روح أبي..

استيقظ يا صديقي القديم!

من المفترض أن يبدأ الحديث عن البداية، ولكن أخشى أنني لا أعلم ما هي نقطة انطلاق تلك القصة، ما بصدده اليوم شديد التعقيد وله أكثر من بداية، وكذلك هو أمر شائك جدًّا متعدد النهايات أو بمعنى أدق هو متعدد السُّبُل للحظة النهائية.

الإظلام الأخير يقترب منا جميعًا، والموت هو عنوان النهاية المثالية لنا وهذا أمر متوقع أصدقائي، ولكن ماذا لو أن الحياة تقترب من حافة النهاية، بل هي الأقرب الآن؟ وحديثي ليس من منظور ديني، أنا أتحدث بمعنى حرفي، الموت يقترب منا جميعًا ونهايتنا صارت على الأبواب ومن ينجو من عاصفة الشر القادمة نحونا سوف يعيش بلا روح، جسد يطوف الأرض بلا عقل، عبد تحت أقدام كيانات مُظلِمة متعطشة إلى استعباد البشر منذ آلاف السنين، أعلم أن البدايات والمقدمات كلها مملة، والكل هنا يبحث عن الأحداث وما أكثرها في تلك الحكاية.

حكايتي ليست طويلة؛ لأنني لا أملك الوقت الكافي من أجلِ سرد كل التفاصيل الدقيقة، وإن حاولت فعل ذلك وتوفَّر لي الوقت أعتقد أنه لا أوراق في الكون تكفي، كل ما سوف يتم سرده الآن أقسم لكم إنه حدث بالفعل، دوري هنا أنني سأحكي بدون زيادة أو نقصان، ودوركم

هو التركيز جدًّا في أدق التفاصيل حتى تفهم الأمر جيدًا، وتعلم ما نحن بصدده، المواجهة القادمة مخيفة ولا سبيل للنجاة سوى بالمعرفة، العدو مختلف ويعلم عنَّا الكثير، طالما كنتُ على يقينٍ أن النهاية ستكون على أيدي المستقبل والحضارة والتكنولوجيا، طالما كنت مؤمنًا بالتطوُّر الكافي للعلم الذي سيخلق من رحمنا جيلًا من الآلات تقود العالم، وسيكون هذا التطور المنطقي للكون، ولكن الأقدار تعشق العبث بنا ومن رحم الماضي ستأتي النهاية، وأخشى أنها نهاية بطيئة ومؤلمة للغاية.

أنا لا أتحدث هنا عن المسيح الدجال ولا قوم يأجوج ومأجوج، ولا حتى إبليس ذاته، بل أتكلم عمَّا هو أخطر منهم جميعًا، السابقون قرأنا عنهم الكثير في الحكايات والنبوءات والأساطير، أما ذلك العدو الذي نحن بصدده الآن لم يُذكَر من قِبَل التاريخ رغم أنه كان حاضرًا في لحظة شر، ابحث عن كل المذابح والحروب القديم منها والحديث ستجده، لولا العقيدة كنت قلت لك إنه مَن وسوس إلى إبليس حتى يرفض السجود لأول البشر!

الإنسان هو الشرير الأول

جميعنا أشرار تلك الحكاية

أنا الشر المطلق هنا!

خلال الأسابيع القادمة سوف أنشر لكم حلقات مكتوبة عن حواري وجلستي مع شخصية مثيرة للجدل، المتهمة مريم الحدَّاد التي تم تنفيذ حكم إعدامها بعدما ثبت للعدالة بإجماع الآراء أنها قتلت تسعة من أصدقائها بدم بارد في مذبحة لم ولن تنساها عقولنا، موعد منشورنا سوف يكون يوم الخميس منتصف الليل أسبوعيًا.

رحلت مريم لأنها كانت تعلم أكثر من اللازم.

السيدة الطاهرة لم تقتل أحدًا، والمذبحة قام بها كيان آخر!

عابد أديب عابد

نُشِرَت هذه الكلمات على مدونة «الروحاني»

بتاريخ الخميس الأول من أبريل ٢٠٢١

***

أخبرتك أنها قصتك الأخيرة
الحلقة الأولى: لعنة تبدأ من جديد!

كش مات ولعنة تبدأ أو تعود من جديد، لا تفسير محدد حتى الآن لماذا تلك العناوين بذاتها هي ما سوف يتصدر حلقاتنا، محتمل أن الإلهام لم يحمل لي أسماء أفضل، وضيق الوقت لا يسمح بالانتظار والبحث، «عابد أديب» هو اسمي، وعمري ثلاثون عامًا، عملي؟!.. طالما الأمر يكون متعلقًا بوظيفتي لا أعلم كيف أشرح الأمر، ولكن سأحاول تبسيطه قدر الإمكان، هناك من يعاني ويتألم حول العالم ويبحث عن الراحة والسلام وأخذ سنوات وسنوات يدق أبواب الطب والأطباء بل وبعضهم لجأ للشيوخ والنباتات، ولكن ما زالت أرواحهم معذَّبة تتألم بلا رحمة، ولأن الله عادل وما من داء إلا وله دواء ودواء الله دومًا له أشكال عدة، أنا على يقين أن الرسول لم يكن يقصد بلفظة دواء التراكيب الكيميائية بقدر ما كان يقصد الحل والخلاص والراحة مهما كان السبيل لذلك، وأنا سبيلٌ من سبل الراحة.

قبل عشرة أيام جاءتني رسالة على البريد الإلكتروني من شخص يُدعَى (نور الدين) وهو صحفي معروف اهتمامه بكل ما هو يخالف الطبيعة والقوانين الفيزيائية المعروفة والنظريات العلمية، شخص كلنا نعلم عنه أنه باحث عن

الأضواء ومريض بجذب الانتباه له ولكن العديد والعديد من الحكايات المنتشرة على «الإنترنت» التي يدّعي فيها صدق كلماته وقيل عنه من قِبَل زوجته السابقة إنه يتواصل بشكل ما مع كيانات من عوالم أخرى، ولكن الأطباء قالوا إنه مريض بالفصام بشكل واضح ويعاني من اضطرابات نفسية حادة وربما يحتاج إلى العلاج طوال حياته القادمة، ولكن حقيقة الأمر ليست موضوعنا، جاءت رسالته مختصرة بشكل كبيرة حيث قال لي: «يجب أن نتقابل غدًا في تمام الساعة الخامسة صباحًا أمام سجن القناطر، أرجوك لا تتأخر!»

حاولت التواصل معه في تلك الأثناء ولكن التواصل كان صعبًا ولا سبيل له، أرسلت له عدة رسائل أتساءل فيها عن الأمر، ولكن لا رد من جانبه فقررت عدم الذهاب ولكن الفضول أكلني أكلًا، ووجدت نفسي مستيقظًا على فراشي؛ فلم أتحمل ذلك ونهضت مرتديًا ملابسي متحركًا نحو مكان اللقاء.

كان الصحفي ينتظرني وكانت هيئته مختلفة كثيرة عن صورته على مواقع التواصل الاجتماعي، كان أسمن من المعتاد، وأيضًا لا يمتلك تلك البنية القوية المنحوتة في صوره المتعددة؛ ففهمت أن الأمور لا تسير على ما يرام مع «ابن الظلام».

«ابن الظلام» هو لقبٌ أطلقَه نور الدين على نفسه وظل

يكرره ويكرره حتى لُصِقَ به وأصبح الجميع يلقبه بذلك، ولكن لن أنكر أن الكثير لا ينطقون به سوى على السبيل السخرية.

بعد أن التقيت بالصحفي وتبادلنا السلام عن بُعد تماشيًا لما تمر به البلاد من جائحة وبائية شرسة، جلسنا داخل سيارته يرتدي كلٌّ منا كمامة طبية، قلت له في غضب:

- حاولت التواصل معك عدة مرات أمس، كان يجب عليك الرد وإخباري بما يحدث!، أنا لا أحب أن تسير الأمور بهذه الطريقة، كما أنني أخشى أننا لا نعرف بعضنا البعض، ولا أعتقد أن هناك أي نقاط تقاطع بيننا.

قام نور الدين بإزالة القناع الطبي ثم أشعل سيجارة وزفر منها زفيرًا طوليًا ناحية النافذة المجاورة له قائلًا:

- صدِّقني لم أكن أمتلك ردًّا، أنت تريد أن تعلم ما سبب الرسالة التي جاءت لك مني وما سر لقائنا بتلك الصورة الغريبة رغم أننا لا نعرف بعضًا.. هذا حقُّك وأيضًا حقي أن ألتزم الصمت حينما لا أملك إجابة واضحة، أنا راهنت على فضولك وكسبت الرهان وأنت هنا الآن وهذا أهم ما في الأمر.

صمت نور الدين وأخذ نفسًا آخر من سيجارته، فانتظرت أن يكمل كلماته ولكنه لم يفعل فقلت بملل:

- حسنًا؟!.. أهذا كل شيء؟!

أومأ نور الدين وأردف:

- أنا لا أعلم أي شيء.

- أنا لا أفهم، لماذا نقف هنا الآن؟!

زفر نور الدين وهو يشير ناحية أسوار السجن المغلقة:

- حسنًا، اسمعني، خلف تلك الأسوار هناك قاتلة تنتظر تنفيذ حكم الإعدام بعد ساعتين من الآن، مريم الحدَّاد قاتلة أصدقائها بدماء باردة وأنا أريد أن أجلس معها في حوار أخير وأن أسمع كلماتها الأخيرة، لا تعلم كم يشتاق الجمهور إلى حدثٍ مثل هذا.. يا هذا!

كانت جرأته وصراحته في إظهار شهوة الشهرة وجذب الانتباه مرعبة حتى ولو كانت على روح إنسان سيلقى الموت بعد وقت قصير، فعبَّرت عن مشاعري بقولي:

- أمر ليس غريب عليك يا ابن الظلام، هذا تصرُّف يليق بك جدًّا.

لم يفهم ردي أو اصطنع الغباء واحتسب كلماتي إطراء، وهمهم:

- إنه اجتهاد لا أكثر.

أزَلتُ أنا أيضًا عن وجهي القناع الطبي وأخرجت السيجارة الإلكترونية وأخذت أدخن ووجهت سؤالي لابن الظلام:

- حسنًا، وما هو دوري في ذلك الأمر؟

- لا أعلم، حتى إنني لم أسمع عنك من قبل حتى في قنوات الطبخ، ولكن القاتلة ذكرت أن شرطها الوحيد حتى تتحدث معي بطلاقة هو حضورك تلك الجلسة.

صمت كالعادة بدون توضيح أكثر من ذلك فتساءلت في فضول وريبة:

- حضوري أنا؟!

- وذكرتك بالاسم يا صديقي، قالت إنها تريد الروحاني العظيم معنا.

شعرت بالغضب من كلماته الساخرة الأخيرة.

- أنا لا أسمح لك بذلك!

نظر الناحية الأخيرة يراقب بوابة السجن الجانبية.

- لا عليك، المهم أنها تريدك ولا أظن أن هذا أمر يضايقك.

- ولِمَ تظن ذلك؟

- ألا تظن أن الجلوس مع قاتل ينتظر الإعدام أمر مثير؟!

بعناد شديد قلت كذبًا:

- أنا غير مهتم.

ردَّ نور الدين بثقة مبالغ فيها:

- لا أظن ذلك.

شعرت بالغضب الشديد وأنا يدي على مقبض الباب حتى أغادر.

- سأرحل من هنا، ولن أدخل معك تلك الزيارة.

- لن تفعل ذلك.

كنت على وشك الرحيل ولكن فُتحت بوابة السجن وظهرت سيدة تنظر يمينًا ويسارًا حتى تتأكد أن لا أحد

يتابعها ثم أشارت إلى نور الدين بالترجل من سيارته والقدوم إليها، نظر نور الدين لي نظرة أخيرة حتى يتأكد من عدم رحيلي، لم أستطع مقاومة فضولي في الشق القادم من الحكاية، فقلت له:

- أنا قادم معك.

ردَّ وهو يتحرك ناحية السيدة:

- هذا جيد!

شعرت بالغضب من صوته الساخر ونبرته المغرورة فقلت له متنمراً ومستهزئًا من حالته الصحية المريضة:

- أما زلت تراهم يا ابن الظلام؟!، أما زلت تسمع أصواتهم؟!.. أحدهم كتب عنك مقالًا عبر الإنترنت أنك تتحدث مع قرينك أو شيطانك أو لا أعلم.. أنت تسمع أحدهم وترد عليه!

***

تسللنا مع تلك السيدة نحو المكان المخصص للبؤساء المنتظرين تنفيذ حكم النهاية، العيون لا تنام وقلوبهم ترتجف رعبًا من رهبة الموت التي تحيط بالمكان وازداد ذلك حينما سمعوا الباب يفتح لنا فظنوا أنها نهايتهم،

شعرت بالذنب لتلك النفوس التي بُثَّ بداخلها الرعب بتلك الطريقة، كان المشهد له هيبة تفوق كل جلسات التواصل الروحاني التي قمت بها من قبل، نعم أنا عابد أديب الذي يمكنه التواصل مع كائنات من عوالم مختلفة والتحدث معهم، وأيضًا يمكنه البحث عن الأشياء الضائعة في البحار والوديان والصحاري وكل ما هو موحش ومهجور، أو بمعنى أدق وأكثر وضوحًا؛ الأرواح التي ضلت طريقها إلى السماء وظلت أسيرة في أماكن خاطئة فأكون مصباحها ونورها ومرشدها ودليلها إلى ضوء النهاية. ما علينا، نعود إلى موضوعنا من جديد، فتحت السيدة إحدى الزنزانات وأدخلتنا فيها، فمنح نور الدين مظروفًا به أموال إلى تلك السيدة فقالت الأخيرة لنا:

- نصف ساعة فقط.

نظر لها نور الدين بسخط:

- كان الاتفاق ساعة ونصف.

نظرت حولها من جديد ثم قالت في توتر:

- الأمر صعب ومسؤولية كبيرة على الجميع، ساعة وحيدة هي الأفضل للجميع، كلانا يعلم أنه لولا صداقتك مع الضابط عمر وثقته بك ومكالمته لي لم أكن لأسمح لك باختراق أسوار السجن في تلك الساعات المظلمة، ما

يحدث هنا الآن دينٌ كبيرٌ في رقبتك وسترده ذات يوم.. يجب أن تقدِّر هذا جيدًا وتحترم كلماتي.

لم تنتظر السيدة ردًّا وخرجت من المكان وأغلقت الزنزانة علينا، في الداخل وجدنا سجينة ترتدي قميصًا أبيض يكشف ذراعيها وأجزاء كثيرة من جسدها العلوي، على بنطال أحمر اللون الخاص بالإعدام، رمقت على الأرض القميص الأحمر ولكن واضح أن القاتلة أزالته مؤخرًا عن جسدها، كانت لها بنية جسدية قوية تمتلئ ببوادر عضلية وتوزيع مناسب للدهون حولها، الوشوم كانت عنوان جسدها، وشوم عديدة على كلتا ذراعيها وصدرها ورقبتها وظهرها، تجمع بين كلمات من لغات مختلفة ورموز مثيرة تخص حضارات قديمة وحديثة، لها شعر أسود قصير وعينان بنيتان وبشرة تميل للسمار، ولها عين أشد احمرارًا عن الأخرى كأنها تبكي بعين واحدة، اقترب نور الدين من السيدة أكثر:

- مرحبًا، لا أعلم ما الكلمات المناسبة في تلك الظروف، ولكن أظن أنه يمكنني إخبارك أن الإعدام هو تطهير للروح من الذنوب، فرصة جيدة للذهاب للآخرة بدون أوزار عدة، وبالتأكيد الله سيسامح على كل ما حدث، مَن يقتل كل أصدقائه بالتأكيد لم يكن في وعيه، ولا أعتقد أنك تستحقين الإعدام.

نظرَ نور الدين إلى جسدها بما يعلوه من وشوم، وأضاف:

- ومن ناحية أخرى مؤسف أن يموت ذلك الجسد، كم تضيف تلك الوشوم إثارة فوق إثارتك..

ضحكت مريم بهدوء شديد ثم نظرت لي هذه المرة ولمعت عيناها وهي تهمهم:

- وأنت يا صغير يا مطّلع على الكثير وقارئ الكفوف والطالع وفاتح الأوراق المرقمة، ساحر ابن ساحر أو كما تحبها أنت روحاني ابن روحاني، هل تظن أن أمثالكم ووالدك مصيرهم الجنة أم النار؟!، هل تظن أن خالق الأكوان سيتفهم طريقتك في كسر الحواجز وعبورها؟!، أو أقول لك دعني أكتشف ذلك بنفسي، والآن ألا تملك نصيحة وموعظة حسنة لي أو حتى تحرّشًا مثلما فعل صديقك؟!

ابتسم نور الدين لسماعه كلمة صغير، كانت مشاعر السعادة ظاهرة بوضوح في عينيه كأنه أخيرًا شعر برجولته وهو يتغزل في أنثى ما، حتى لو كانت على موعد مع الإعدام بعد لحظات قليلة، تجاهلت الأمر وكان ردي على سؤالها بسؤال آخر:

- نور الدين أخبرني أن وجودي هنا بناء على رغبتك، أريد أن أعرف ما هو السبب؟! ومن أين جاء علمك بي وبأبي؟!

في تلك الأثناء تعالت أصوات نباح الكلاب في الخارج،

الكثير من الصياح يأتي من بعيد، ولكن لا تفسير لذلك الآن، وفجأة جذبت السيدة اهتمامي بكلماتها الهادئة التي تمتلئ بالثقة:

- رويدًا رويدًا يا عابد، الليلة ما زالت في البداية، تلك الأسئلة المثيرة لا تجاب في بداية الجلسة، أنت لم تأتِ هنا سوى للفضول وبالتأكيد لن أشبعه لك في أول دقيقة، اجلس ولن تندم صدقني، أما عن علمي فهو خطيئتي الوحيدة تلك الليلة، إن تم إعدام ذلك الجسد المثير فتأكد أن المعرفة هي السبب في ذلك الأمر، المعرفة وليس القتل، فأنا أشهد أن تلك السيدة التي تجلس أمامك لم تقتل أحدًا على الإطلاق!

تبادلنا النظرات أنا ونور الدين محاولين تفسير كلماتها، خاصةً أن ما تنطق به كلانا يعلم أنه ليس مباشرًا ويحمل الكثير من الفلسفة والكلمات غير الواضحة، ولكن لم يدم الصمت طويلًا وكان الرد من جانبي:

- أنتِ سمعتِ، السيدة أخبرتنا أننا سنجلس معًا ساعة لا أكثر من ذلك، ليس هناك وقت حتى نضيعه، ليس هناك وقت إلى الإجابات الطويلة الغامضة، صدقيني أنت الآن بحاجة إلى الحديث المختصر المباشر حتى يفهم القراء وصيتك ووداعك.

رمقت مريم السيجارة الإلكترونية في يدي فمدت يدها،

فمنحتها إياها في الحال، قامت بتشغيلها وأخذت أنفاسًا متتالية منها فتعبأ المكان بالدخان.

- للوقت حسابات أخرى في حياة كلينا، ولكنك لا تعلم ذلك بعد.. الساعة تكفي لكل شيءٍ، لا تقلق، الوقت ممتد حتى أشاء أنا عكس ذلك، ولكن لدي تساؤل هذه المرة؛ كيف يسمح لكم بالدخول إلى زنزانة مجرم خطير يواجه الإعدام في ساعاته الأخيرة، أليس من الممكن أن أقتلكم الآن وبالتأكيد لن أعدم مرتين؟!، أعتقد أن لذلك السؤال حلّين لا ثالث لهما، الأول أن حراس ذلك المكان يعتقدون أنني لا أستطيع قتل أحد، ولكن كيف وأنا متهمة بقتل تسعة من أصدقائي إذًا تلك الإجابة غير منطقية وغير مفهومة.

هنا تدخَّل نور الدين وهو يشاركني عدم الفهم لكل ما يقال فاصطنع عدم اهتمامه بألغاز كلماتها، وقال بفضول مغيِّرًا دفة الحديث كله:

- كفى إضاعة الوقت في أمور تافهة وكلمات غير واضحة وغير قابلة للنشر؛ لأنها لا تحمل أي معنى، والآن أخبرينا ما هي مشاعرك تجاه السويعات القادمة، وهل أنت فعلًا نادمة على ما حدث؟!

ضحكت مريم ساخرة من كلمات الصحفي، ورغم أنني أرفض ما تفعله مريم من استفاضة في حديث لا معنى له،

إلا أنني لم أوقِع باللوم عليها في سخريتها، فحقًا وصدقًا نور الدين شخصية مثيرة للشفقة.

- هل أنتِ نادمة على فعلتك؟!.. تذكرني بأحدهم أيها الشاب السمين، لا عليك، مريم ليست نادمة على شيء، لأنها لم تفعل أي شيء على الإطلاق، أريد أن تخبروا الجميع قصتها، أخبروهم أنها حاولت إنقاذ كل إنسان يعيش على وجه تلك الأرض وكان جزاؤها الموت والعقاب على جريمة لم تفعلها أبدًا.

ثم أشارت المتهمة لي وأردفت:

- وأنت سوف تكون الشاهد الوحيد لكل ما حدث وكل ما سوف يحدث!

نور الدين بحماس شديد وهو يقوم بتشغيل هاتفه لكي يسجل كل شيء يقال هنا:

- هذه بداية جيدة، ما زالت القاتلة تنكر الأمر وتدعي أنها كانت تحاول إنقاذ العالم، كما أنها تدّعي أن عابد هو الشاهد الوحيد على الأحداث الدموية القادمة!

أومأت ومسحت دمعة سقطت خلسة من إحدى عينيها وهي تنظر إلى نور الدين ثم نظرت لي وابتسمت ابتسامة أخافتني، شعرت بخلل كبير في القوى العقلية لتلك

الشخصية ولكن تجاهلت الأمر.

- أنت مزعج حقًّا، ولكنك مميز، أرى في عينيك مستقبلًا مشرقًا ممتلئًا بالسفر والمفاجآت.. أنت تشبهني كثيرًا، كأنك نسخة مني!

نظر لها نور الدين شاعرًا بالغيرة من مدح تلك السيدة لي دومًا ومحاولًا جذب اهتمامها له:

- أريد أن أسمعُكِ، كيف كنت تحاولين إنقاذ العالم وآلت بك الأحداث إلى هنا، احكي كل شيء من البداية، أخبري الجميع أنك بريئة، ولا تنسي أنني فقط نافذتك الأخيرة للحديث مع العالم يا مريم.

شرد ذهن السيدة لحظات ونظرت إلى أعلى؛ فلاحظتُ أنها ترتدي عدسات لاصقة في عينيها لكنني تجاهلت الأمر مؤقتًا فقالت وهي تنظر إلى سقف الغرفة:

- سوف أُشبِع فضولكم عن طريق السرد، سأحكي لكم حكاية حدثت في القرون الأخيرة في مصر القديمة عن شخص مثير للاهتمام يدعى كاو، أعتقد أن تلك الشخصية ظُلمت كثيرًا حينما لم تكتب سيرتها على كافة المعابد جوار الملوك والفراعنة العظام، ولكنه ليس الأول ولن يكون الأخير المطموس حقه عبر التاريخ.

أنهت القاتلة كلماتها وأخذت أنفاسًا طويلًا من السيجارة الإلكترونية وتركتنا حائرين فتساءل نور الدين بفضول شديد وعدم فهم وملل بعض الشيء:

- كاو؟!.. ومَن يكون كاو؟!

أجبتُه بدلًا منها هذه المرة، حيث شعرت للمرة الأولى بأهمية وجودي في ذلك المكان، كأنني حلقة وصل تجلس بين القاتلة وبين ذلك الصحفي الأحمق.

- عقرب من عقارب آمون!، هو العقرب الأخير المذكور سيرته في مخطوطات كليوباترا ويُعتقد حسب ظن المؤرخ الفرنسي شارلز توماس أنه من قتل الإسكندر الأكبر بمساعدة الكهنة المصريين.. وبالفعل ما يشاع عنه مثير، وأعتقد أنكِ محقة؛ تم طمس الكثير من حكايته حتى لا يعلم البشر التمرد والثورة ضد الظالمين الخائنين، يقال إنه أول من رمقَ خيانة الإسكندر وقام بقتله، ولكن تم محو تلك الحقيقة وظل الجميع يمجد ابن فليب المقدوني مؤسس الإسكندرية، حتى تلك اللحظة.

نظرت لي مريم نظرة انبهار:

- هذا جيد، هذا حقًّا جيد.. أخبرتك أنك مختلف، كنت محقة حينما جلبتك إلى هنا، أنا راهنت عليك وأعلم أنني سأفوز.

صمتت ثواني قليلة ثم بدأت مريم في سرد حكايتها..

***

وقعت تلك الأحداث بعد رحيل الإسكندر بسنوات قليلة

شهقت (لاميس) بقوة وهي تستعيد روحها داخل صدرها، كان عقلها ما زال شاردًا فيما حدث قبل موتها أو غياب وعيها المؤقت، الكاهنة لاميس ترتدي الرداء الأبيض الفضفاض الخاص بمنصبها ككاهنة كبرى لمعبد آمون العظيم، رأسها تؤلمها بشدة كأن جمرةً من جحيم الإله «سِت» بداخل رأسها، جسدها يغلي بالكامل وتشعر بكامل انقباضات الأوردة والشرايين، قلبها يأبى الهدوء والسكينة فتعلم داخلها أن اللحظات السابقة لها كارثية، تحاول النهوض ولكنها تسقط في الحال وتشعر بألم شديد قادم من عظام فخذيها، تنظر إلى الجزء السفلي من جسدها فترى سيلَ دماءٍ يسير نحو قدميها وجزءًا من عظامها خارجًا عن مساره وموضعه بارز من بين شقي بشرتها، تصرخ لاميس فيخرج صوتها مكتومًا متألمًا، ولكنه كافٍ كي ينتبه أحد الملثَّمين ويقترب منها واقفًا أمامها، تتساءل الكاهنة بألم شديد وصوت متقطع:

- مَن تكون بحق الآلهة؟!

يزيل الملثم غطاء وجه ويهبط بكلتا يديه على عنق الكاهنة

ويشرع في خنقها وهو يقول بصوت يمتلئ بالشر والحقد:

- أنا آخر وجه ستراه عيناكِ، وأرجوكِ ألا تأخذي الأمر على محمَلٍ شخصي، أنت مطلوبة للبقاء، الشيطان يريدك، يريد جسدك وروحك وفناؤك في تلك اللحظة هو أشد أنواع الرحمات لك وأفضل جزاء لكِ عما حدث من قبل، أنا سأمنحك وسام الخلود بعد موتك، الكل سيتذكر الكاهنة التي قتلت الطغاة والظلمة ومصاصين الدماء، الوداع يا كاهنة آمون أرجو ألا تأخذي الأمر على محمَل شخصي بيننا.

تحاول لاميس مقاومة ما يحدث ولكنها لا تجد أي قدرة أو بقايا قوى للتحكم في عضلات أوصالها، حاولت أن تتذكر أي تعويذة أو عزيمة أو صلاة تخلّصها من ذلك القاتل الغامض ولكن هيهات أن تتذكر أَي شيء على الإطلاق، فكانت شديدة الحزن لأنها ستموت وهي لا تعلم قاتلها ولا سبب موتها، تعلم أن لها الكثير من الأعداء، ولكنها تود بشدة أن تفهم ما يحدث حولها، في النهاية عقلها توقف عن المقاومة وانهار فجأة وسقطت الكاهنة في عالم من الظلام!

قبل الإظلام التام سمعت الكاهنة صوت القاتل يتحدث إلى أحدهم ويقول:

- الأمر انتهى، ماتت الخالدة والخطة فشلت!، أسطورة سيد الجليد انتهت إلى الأبد!

وعلى الجانب الآخر أحدهم يصرخ صائحًا:

- ماذا فعلت أيها الأحمق؟ أنت دمرتنا جميعًا، سحقًا لك، سحقًا لك، إنهم قادمون وسوف يقتلون الجميع!

***

توقفت مريم لحظات عن السرد ونظرت إلينا حتى ترى مفعول كلماتها المثيرة على وجوهنا، كان نور الدين لا يهتم كثيرًا بالتاريخ، عكسي، فقد وجدت في كلماتها مقدارًا من الآثار والغموض والمتعة، مناسبًا لي.

قلت لها:

- هذه بداية مشوقة جدًّا. أنا قرأت عنكِ في الصحف وعلمت أنكِ تظنين نفسك تلك الكاهنة!

لم ترد واكتفت بالابتسامة وشرعت في استئناف حكايتها..

***

شمس تغيب على قرية الآلهة وقمر جديد يتوسط السماء، الجميع داخل معبد القرية يتلون صلواتهم، الكل يتعبد للإله الخاص به حيث يتوسط المعبد ثلاثة تماثيل عملاقة، الأول

للإله آمون والثاني للإله زيوس، والأخير للسيدة عشتار حولهم تماثيل كثيرة أصغر حجمًا، كلٌّ منهم يعبر عن إله آخر، يعيش سكان قرية الآلهة في تناغم وانسجام شديدين رغم اختلاف عقائدهم؛ حيث لا مجال في تلك الأرض للشجار أو الصراعات العقائدية، يقول سيد القرية وهو رجل يدعى (آنو) بأنه رأى كل الآلهة مجتمعة في أحد أحلامه، كانوا جميعًا معًا يجلسون بجوار بعضهما البعض، سعداء ساخرين من الصراعات البشرية التي قال أحدهم عنها إنها بلا معنى، أضاف آنو أنه في نهاية حلمه تقدمت إليه سيدة شديدة الجمال وأخبرته أنها عشتار، ثم وقفت وسط جميع الآلهة وقالت بصوت جهوري مرتفع: «ماذا لو أنشأ لنا ذلك الكاهن المسكين أرضًا للسلام، أرضًا خالية من أي صراعات دينية»، وحينما استيقظ قرر آنو تلبية نداء الآلهة خاصة حينما رأى آنو أن جميع الآلهة كانوا سعداء جدًّا بكلمات عشتار الراقية.

انتهى الجميع من صلاته وسجد الكل للإله الخاص به، ثم تقدَّم الكاهن آنو الثالث وهو حفيد الكاهن آنو الأول صاحب الرؤية وابن الكاهن المجيد آنو الثاني الذي حكم القرية قرابة الستين ربيع، وقف آنو الثالث وسط شعبه وأخذ اثنين من خدَّامه يلقون الأزهار عليه ويصيح أحدهم:

- المجد لصاحب السلام، المجد لصاحب السلام.. آنو بن آنو بن آنو الأول العظيم كليم الآلهة.

ردد الجميع وراء الخادم ثم رفع آنو يده في الهواء كي يتوقف الجميع عن كلماته وقال بوجه مبتسم سعيد:

- المجد لي ولكم يا أهل السلام، جدي تم اختياره من قِبَل الآلهة حتى يحمل لكم رسالة السلام وأنتم أيضًا تم اختياركم حتى تعيشوا نعمة السلام والراحة وهدوء البال ونبذ صراعات الدنيا الفانية، إنها ليلة جديدة سعيدة على أرض السلام الجميلة، ليلة تحمل لنا الخير وأي خير ونحن نزف اليوم ونعلن زواج العقرب المصري السابق كاو، ذلك الرجل الذي ترك كل شيء وكل الأمجاد الزائفة حتى ينعم هنا بنعمة السلام، وزوجته الجميلة ميريت الابنة القادمة لنا من أرض سيوة الطاهرة، قولوا مبارك للزوجين وتمنوا لهم حياة سعيدة في الدنيا وفي الحياة الأبدية

الجميع يرقص في سعادة بالغة، أخذ كاو زوجته ورحل نحو بيته في نهاية القرية، البيت الذي مكث كاو ستة أشهر في بنائه، دخل كلا الزوجين وتمت أول مضاجعة بينهما، وما كانت إلا تسعة أشهر لاحقة حتى جاءتهما المولودة الأولى أسماها كاو، لاميس، على اسم كاهنة مصر حيث الأيام القديمة والصراعات والبطولات، حينما سألته ميريت إن كان يقصد أي شيء بهذا الاسم أجابها بالنفي، لم يكن يقصد الكذب عليها بقدر ما كان يريد ألا ينشغل بالها بحياته الماضية، فيذكر أن طوال علاقته بميريت وكلما حاولت الأخيرة التوغل إلى ثنايا حياته السابقة،

يخبرها أن حياته بدأت مع أول مرة رآها فيها، تعدُّد مرات ميريت في التوغل داخل عقل كاو، ولكن الأخير يصدها بلا كلل ولا ملل حتى يئست الزوجة وقررت الاستسلام لرغبة كاو ولا تحاول العبث في ماضيه من جديد خاصة حينما أخبرتها إحدى صديقاتها ألا تعبث في الماضي حتى لا تسمع ما لا يرضيها، وأن تكف عن فضولها حتى لا يتسبب في جرح قلبها أو كسر مشاعرها ناحية زوجها وأن تحيا معه حياته الجديدة هنا في أرض السلام بعيدًا عن صراعات سيوة والإسكندرية وكامل بلاد الأهرامات.

ولكن الحياة دومًا تأبى السير مع التيار الهادئ، كأن سُنَّة الحياة أن يتعكر صفوها من الحين للآخر، فحينما بلغت لاميس الصغيرة عامها الثالث حدثت كارثة غير متوقعة بأرض الآلهة، نهض يومها كاو من نومه على طرقات الملك آنو الثالث، كان الأمر غريبًا أن يرى كاو الكاهن على باب بيته، كان العقرب المصري كباقي سكان القرية على قناعة تامة أن ذلك الكاهن لا يغادر المعبد مطلقًا، تساءل كاو بفضول ناسيًا أن يعرض على الكاهن الدخول وتناول مشروب ما..

- سيدي آنو، هل كل شيء على ما يرام؟!

صمت آنو لحظات، بعدها اندفع كاو وأدرك سوء كلماته وقال:

- أنا أعتذر سيدي، تفضل بالدخول.. تفضل تفضل.

دلف الكاهن إلى الداخل، كانت لاميس تلعب وتلهو، اقترب منها وربت على كتفها ورأسها فهرولت الصغيرة نحو أمها فنظر الكاهن إلى العقرب وقال:

- بني!، يجب أن تأتي معي حالًا.. هناك شيء ما يحدث في القرية وبعضهم أخبروني أنك محتمَل أن تملك تفسيرًا لما يحدث هنا..

شعر كاو بالقلق قليلًا، ولكن نظر خلفه فرأى ميريت تحتضن لاميس فشعر أن كل ما يملكه بين يديه ولا يوجد أي قوة قادرة على انتزاع ذلك منه، فتساءل بعدما هدأ قلبه قليلًا:

- ماذا هناك سيدي الكاهن؟!، هل هي رؤية جديدة من الآلهة؟!

- ليست مجرد رؤية يا بني.. خادمي مريض جدًّا، لا يسكن الطعام في جوفه، لا يتوقف عن القيء مطلقًا، جسده هزيل جدًّا، وتنتشر بقع سوداء كثيرة بكامل جسده.. إنه ينتفض بقوة والألم يحيط به من كافة الجوانب وأخشى أن الموت يقترب منه بشدة، الأمر مخيف بشدة يا كاو وأشعر أنه لن يتوقف عند هذا الحد.

نظر كاو إلى زوجته فقامت الأخيرة باحتضان ابنتها بقوة حتى تبث داخلها بعض الطمأنينة:

- عذرًا سيدي، سلامات أولًا للخادم الأمين، ولكن ما علاقة هذا بي؟، يمكنك أن تطلب طبيب القرية أو حتى ترسل إلى مصر وتطلب طبيبًا من عندهم، أنا لا أعلم عن الطب سوى القليل جدًّا.

تنهد الكاهن ولم تزده كلمات العقرب سوى ألمٍ وبؤسٍ:

- بني، ما يحدث لا يحتاج إلى أطباء، ما حدث لخادمي حدث لخمسة وعشرين مواطن آخر في القرية.. هناك في الخارج خمس وعشرون أسرة على وشك فقدان أحد من أفرادها وتعيش في حالة من الحداد والحزن الشديد، وأعتقد أن الأمر سوف يستمر أكثر من ذلك، وسوف يمتد إلى حدٍّ بعيدٍ.

- ماذا تقصد يا سيدي؟!، هل تعتقد أننا بداخل موجة وبائية جديدة؟!

- بالضبط يا بني، إنه وباء.. إنها موجة جديدة من موجات الموت الأسود، الإله ست يتجسد من جديد في شكل الطاعون وسيحصد رؤوس الجميع، ست يأبى أن يرى السلام في إحدى بقاع الأرض فقرر القضاء علينا..

شعر كاو أن ماضيه كجندي سابق في كتيبة العقارب التابعة للمعبد الكبير وعمله كحارس شخصي للفرعون ذاته، سيجعله الآن يخرج في رحلة مؤكد أنها ستكون انتحارية ولن تقلّ شيئًا عن رحلاته السابقة، لم يكن يريد العقرب سفك الدماء من جديد ولم يُرِد أيضًا التخلي عن أسرته ولا حتى أصبح مهتمًا بخدمة البشر ونشر العدل كما كان سابقًا، بل أصبح الجندي والحارس الشخصي للفرعون مجرد حارس لأسرته فقط، أصبح العقرب بلا أنياب حادة وذيل سام للدغِ الأعداء. أصبح يوفر كل ما تبقى لديه من سموم لقتل مَن يقترب من أسرته فقط، ولكن هيهات أن تترك الحياة الرجل لحاله؛ فحينما قرر كاو الاعتذار عن الاستمرار في تلك المناقشة، صرخت ميريت بفزع شديد فنظر كاو والكاهن نحو الصغيرة فوجودها في حالة من الإعياء المفاجئ وأخذت تفرغ معدتها بالكامل أمامهم قبل أن تسقط مغشيًا عليها.

صعق الكاهن أيضًا مما يحدث أمامه، اقترب سريعًا من الصغيرة ووضع يده على جبهتها وهو يتمتم بأدعية للآلهة كلها لعلها أحدهم يكون مستيقظًا ومنتبهًا لما يحدث هنا.

وضع كاو ابنته في فراشها، وعاد إلى الكاهن وقال بصوت حاد:

- ما الذي يحدث هنا بالضبط؟!

- كما قلت لك، إنها لعنة جاءت لنا في صورة وباء.

تساءل كاو من جديد:

- وكيف نتخلص من تلك اللعنة؟!، أخبرني أرجوك هيَّا..

قال الكاهن وهو يربت على كتف العقرب:

- على بُعد أربعة أيام شرق قريتنا توجد قرية أخرى، قرية يحكمها كاهن أشقر ذو عين خضراء والأخرى ممسوحة، فور ظهور تلك اللعنة بأرضنا ورفض الآلهة رفع ذلك البلاء عنا، كأن هناك ما يحجب التواصل بيني وبينهم، أشعر أن الآلهة صارت لا ترانا.

كان كاو لا يطيق أبدًا كلمات الكاهن المطولة، فتساءل من جديد وهو ينظر إلى ابنته:

- أرجوك، أخبرني كيف الخلاص؟

- حسنًا، أنا أرسلت إلى الكاهن يامي وأخبرته بما يحدث عندنا واليوم جاءت رسالة منه بواسطة الحمام الزاجل يخبرني فيها أنه يمتلك الدواء والخلاص.

- حسنًا، لماذا لم يرسل الحل في أقدام الطير؟!

صمت الكاهن لحظات يفكر في الأمر، بعدها قال بتردُّد:

- محتمل أنه خشي أن يضل الطير الطريق، محتمَل أنه لن يريد أن تقع تلك الكلمات الخطيرة في أيدي أي أعداء لنا.

- سحقًا..

- بني، يجب أن ترحل إلى هناك وتقابل يامي، وتحضر منه علاجنا وخلاصنا من تلك اللعنة، أرجوك!

نظر كاو إلى ابنته الراقدة المتألمة تارة، وإلى زوجته الخائفة الباكية تارة أخرى، ثم أومأ إلى الكاهن موافقًا على القيام بتلك الرحلة وهو يهمهم:

- أتمنى أن تكون أنت وذلك الكاهن الآخر على حق، وإلا أقسم لك بأنني سأقتله إن كان يخدعني ولا يملك حلًّا لما يحدث هنا!

***

قال نور الدين ساخرًا:

- أليست صدفة مثيرة ما يحدث في عالمنا الآن من انتشار الأوبئة وما حدث في الماضي؟!

ردَّت السيدة مريم:

- لا يوجد مصادفات يا عزيزي، صدقني كل شيء مرتبط ببعضه البعض بشكل لا تصدقه.

أما عني فلم أتحدث، لم أكن أريد في تلك الأثناء سوى باقي القصة وما علاقة كل تلك الأشياء ببعضها البعض.

***

داخل مصر من جديد خاصة بأرض الإسكندرية الجميلة تلطخت الأجساد بالدماء وأُزهقت أرواح الكهنة، داخل معبد حورس بشرق الإسكندرية بالقرب من الهرم المدرج السباعي ومسلة الملكة حتشبسوت وقعت مذبحة في ظروف غامضة، حينما استيقظ أحد العاملين في المعبد ليجد الكهنة السبعة الكبار قد تم قتلهم بالسم أثناء أحد اجتماعاتهم الليلية، صعق العامل حينما وجد كبار الكهنة جثثًا ساقطة أرضًا حول الطاولة المستديرة والزبد يخرج من أفواههم، تحرك حينها بسرعة وفزع وأخذ يدق أجراس الحروب بصورة هيستيرية بثت الرعب في نفوس كل سكان المدينة الساحلية، حراس المعبد على وشك الانغماس في النوم ولكن صوت الأجراس بثت في أجسادهم الطاقة والقوة وحمل كل منهم سيفه وانطلق نحو الداخل يفرضون الحماية على الكهنة الكبار، ولكن تأخروا كثيرًا والقاتل يتمتع بقدر كافٍ من الذكاء حتى أتم عمليته بهدوء تام وبدون إثارة فوضى أو ضوضاء تثير انتباه الحراس، الخبر انتشر في المدينة كلها وسرعان ما علمت

مصر بأكملها الخبر المشؤوم، انطلقت الشائعات و تكاثرت الأقاويل التحليلية لما يحدث داخل البلاد؛ الفقراء قالوا إنها لعنة تصيب أبناء الرب، والآخرون قالوا إنها خيانة وانقسام داخل الدولة وصراعات على الحكم، ومنهم ما كان يعلنها بقوة أن الفرس عادوا من موتهم لاسترداد الحكم والعرش الفرعوني والانتقام لمقتل قادتهم هنا على بلاد الأهرامات، وآخرون قالوا إنها الروح المقدونية التي عادت كي تنتقم من موت الإسكندر على أرض الإسكندرية، هناك تشتت كبير بين أبناء الوطن، ولكن الذعر هو عنوان الحقبة الزمنية الراهنة، أمر الفرعون جنوده بالانتشار في البلد ومحاولة السيطرة على مخاوف الناس وحمايتهم من أنفسهم ففرض رئيس الجيش حظر التجوال على الجميع، أعلن الوزير ضرورة بقاء الجميع في بيته حتى يتسنى لهم القبض وإعدام القاتل الخسيس.

***

كانت ليلة قاسية على كاو وميريت. احتضن كلا الأبوين ابنتهما المريضة أو الملعونة، تنهمر دموع الأم بغزارة فيربت كاو على كتف زوجته، تقول الأخيرة متسائلة بلسان مرتعش مذعور:

- هل سيكون كل شيء على ما يرام؟!

ينظر لها كاو ويحاول اصطناع الثقة، ولكن جسده

وملامح وجهه يأبوا الانصياع له، فيبدو كذب كلماته أمامها وهو يجيبها بنبرة مهتزة لم ترَه فيها من قبل:

- أنا مررت بالكثير، لحظات شديدة الظلام حسبتها أنها النهاية وتلوت فيها صلواتي الأخيرة، بل مرة دونت وصيتي وها أنا أمامك الآن حيٌّ أرزق.. أعلم أننا في مأزقٍ شديدٍ واختبار قوي، ولكن أعدك أننا سنتخطى هذا كما تخطيت الكثير والكثير من قبل.

اقتربت ميريت من كاو وأخذت تبكي بحرقة وهي تقول:

- أنا لن أتحمل فقدان ابنتي، أرجوك أذهب إلى ذلك الكاهن ولا تتأخر في العودة حاملًا العلاج والخلاص.

احتضن العقرب زوجته وقال:

- لا تقلقي، سأرحل مع الشروق..

في الخارج وقف كاو أمام بيته يتنفس الهواء الرطب، كان يشعر بقليل من الدوار بجانب أسرته، ولكنه يحاول جاهدًا ألا يظهر ذلك أمامهم حتى لا يبث مزيدًا من الخوف على زوجته المسكينة، ولكنه الآن يشعر أن حالته تزداد سوءًا فوق سوءٍ والدوار يزداد بصورة أكثر مما عليه وحاصره شعور بالتقيؤ، وقف في أحد الجوانب وأخذ يفرغ معدته فلم يجد سوى دماء تنهمر من جوفه، انقبض قلبه

أكثر وهو يعلم أن الوضع الآن أصبح أكثر سوءًا مما عليه، فدلف نحو الداخل من جديد، وأخبر زوجته أنه محتمَل أن يكون حاملًا للمرض هو أيضًا، أخبرها أنه لا وقت البقاء هنا حتى الفجر والشروق وأنه لا بُدَّ له أن يغادر القرية الآن!

قرية الكاهن يامي تقع على مسافة أبعد بكثير عما قاله الكاهن آنو، لم يصل كاو إلى تلك القرية سوى بعد خمسة أيام كاملة رغم أنه لا يستريح ولا يخيم في الطرقات سوى سويعات قليلة جدًّا، العقرب يتسابق مع الزمن حتى يصل إلى تلك القرية قبل أن تظهر عليه الأعراض المرضية بصورة أكبر، كان يخشى أن يهلك في الطريق فلا يصل أي دواء إلى ميريت كي تنقذ الطفلة الصغيرة، حينما وصل العقرب إلى تلك الأرض النائية وجدها قرية شديدة الفقر لا تحتوي على سوى قليل من قرابة العشرة خيام ودير مميز في مركزها، كان هناك عشيرة صغيرة من البشر مختلفة الأعمار تطوف حول الدير كأنه طقس ديني معين يمارسه هؤلاء، ثم أخذوا يسجدون إلى تمثال غريب الهيئة رغم علم كاو المميز والملحوظ ودراسته الطويلة في معابد آمون واطلاعه الكبير على علوم الأديان وتاريخها، إلا أنه لم يرَ ذلك التمثال ولا تلك الطقوس الدينية من قبل، بالتأكيد لو كان الظرف مختلفًا لاستغرق العقرب عدة أسابيع في تلك القرية حتى يدرس ما يحدث هنا، ويتعلم تلك الديانة وأُسس ثوابها وعقابها والتقرب من ذلك الإله الجديد إن لزم الأمر، ولكن فكرة إنقاذ نفسه وابنته وقريته

كانت الفكرة الوحيدة المسيطرة عليه في تلك اللحظات الحرجة.

استوقف كاو إحدى السيدات في خمسينيات عمرها كانت تجر عربة تمتلئ بثمار الموز، فظنت الأخيرة أن العقرب يريد الشراء منها فبادرت بوجه بشوش ومرحِّب جدًّا قائلة:

- صباح الخير أيها الوجه الجديد بالقرية، جسد ممشوق ونظرة حادة أنت من حماة الوطن، أليس كذلك؟! إياك أن تكون مستطلعًا لأحد الغزاة؛ فتلك أرض فقيرة جدًّا لا تحتوي على أي شيء مميز، لا مقابر تحتوي على ذهب وفضة وطلاسم سحرية، ولا أيضًا مصدر لأي خير من خيرات الحياة سوى قليل من ذلك الموز البائس.. وإن جئت لفرض الضرائب تيقن أنك لن تنال أي شيء!

كانت السيدة كثيرة الكلام حقًّا، تتحرك من فكرة لفكرة، ومن موضوع لآخر حتى كاد كاو أن ينسى عن أي شيء يريد سؤالها، كان يعلم مع كل تلك الشكوك داخلها لو تجاهل الإجابة عليها وسؤالها عن الكاهن يامي مباشرة ستقوم بلا شك بتضليله.

- صباح الخير سيدتي، أنا لست من الغزاة ولا جامعي الضرائب.. كلماتك الأولى كانت بها شيء من الصحة، أنا من حماة الوطن.. أو كنت كذلك يومًا.

قاطعَتْ السيدة كاو وقالت وهي تضع يدها على رأسها كأنها تفكر:

- أنت من المدجاي، أليس كذلك؟!، أنت من حُرَّاس الفرعون، جسدك وقوة عضلاتك لا يوحيان بأنك مجرد حامٍ.

ابتسم العقرب:

- لست من المدجاي، ولكنني من العقارب.. أسمعتِ عنهم؟!

تغيرت ملامح السيدة في الحال، وبدت نظرتها أكثر عدوانية، كان لا يعلم كاو أي كلمة نطق بها أثارت سخط تلك السيدة، طالما كانت العقارب مصدر أمان وراحة ونفخر لكل من يتقابل معهم، لم يسبق أن سخط أي مخلوق على هؤلاء الفتيان، أو هكذا ظن كاو!

- هل أنت بخير يا سيدتي؟!

السيدة قالت بصوت حاد هذه المرة:

- أي خير وأحد كلاب آمون يقتحم قريتنا؟!

حاول كاو تجاهل سُبَّة السيدة:

- سيدتي، أنا أريد أن أقابل الكاهن يامي في أمرٍ هامٍّ جدًّا.

- سيدنا لا يتقابل مع أبناء الآلهة الأخرى، خاصة لو كانوا من كلاب آمون..

شعر كاو بدوار شديد ونوبة جديدة من السعال الدموي حاول كتم الأمر بصعوبة وقال بصوت متألم:

- أرجوكِ يا سيدتي، الكاهن يامي يتوقع قدومي إلى هنا، أنا لا أعمل تحت ظلال آمون الآن، أنا قادم إلى هنا من قرية الكاهن آنو الثالث.. إنه أمر طويل ولا طاقة لي في سرده الآن، أين الكاهن يامي؟

ابتسمت السيدة اخيرًا ومنحت العقرب ثمرة موز وقالت وهي تشير إلى الدير:

- لم تكن في حاجة إلى سؤالي، الكاهن داخل الدير يتواصل مع الإله أتوم رع، لا أنصحك باقتحام الدير الآن وقطع التواصل المقدس بينهم حتى تتم حاجاتك هنا بشكل مناسب، الكاهن يغضب بشدة عندما يحاول أحدهم فعل ذلك، انتظر إلى منتصف الليل سيكون الأمر أفضل لك، سلامات أيها العقرب، إلى اللقاء..

رحلت السيدة وتركت كاو وحيدًا في تلك الأرض

الغريبة، ظلَّ الأخير يتابع المشهد العبثي أمامه، يفكر في كلمات بائعة الموز التي أخبرته بضرورة الانتظار حتى منتصف الليل، ولكنه يعلم يقينًا أنه لا يملك تلك الرفاهية كي ينتظر، يتذكر لاميس الصغيرة وهي ترقد في الفراش بين صراع مع الموت والحياة، يتذكر زوجته التي تبكي بدموع من الدماء والألم والحسرة، وفجأة يقتحم خلوة العقرب مراهقة صلعاء سمراء البشرة في الثامنة عشرة من عمرها، ترتدي زِيًّا يشبه نسخة شديدة الفقر والرداءة من زِي المحاربين القدماء، اقتربت من كاو بعين تمتلئ بالفضول والشغف والإثارة وقالت:

- أنت من العقارب!، كم هذا جميل!

نظر لها كاو وهو يجهل أي الكلمات المفترض قولها الآن حتى لا يتسبب في غضبها كما غضبت العجوز السابقة، طال صمت كاو وهو يبحث داخله عن الرد المناسب فأضافت الفتاة:

- لم أقصد التجسس عليك، ولكن جذبني الفضول عندما رأيتك تتحدث مع بائعة الموز، سمعتك تتحدث عن أشياء عدة، خاصة حينما أخبرت البائعة أنك عقرب من عقارب آمون.

ردَّ كاو بحذر هذه المرة:

- عقرب سابق من عقارب آمون، أخشى أنني صرت لا أحمل في قلبي انتماء لإله محدَّد.

الفتاة وهي لا تبالي:

- الأمر لا يتعلق بالآلهة يا صديقي العزيز، أنا لست مثل البائعة المجنونة، لا لست مثل أي من هؤلاء الحمقى، أخشى أنني أمتلك نظريات مختلفة عن العبادة والإله والطاعة لكيان ضخم هائل لا نراه.. لا أعلم كيف أشرح لك الأمر، ولكن لا تقلق أنا لست هنا حتى أحكم عليك ولا أقيِّم إيمانك، أنا فقط أريد أن أسمع منك كيف تغلبت وانتصرت على أعدائك، أريدك أن تخبرني عن أعظم رحلاتك، وكيف تخلصت من ألد أعدائكم، بحقكم أيها العقرب أنا سمعت عنكم أساطير كثيرة يجب أن تخبرني حالًا إن كانت محقة أم لا، الفضول يقتلني قتلًا:

ردَّ كاو على الفتاة المراهقة وعيناه تتابعان المتعبدين الطوَّافين حول الدير:

- يمكنني أن أقص عليك رحلة من أهم رحلاتي وأخطَرها على الإطلاق، ولكن أريدك أولًا أن تخبريني عن الكاهن يامي، مَن يكون.. وما هي أفكاره بالضبط وكيف يمكنني التحدث معه والوصول إليه؟

كادت أن تتحدث الفتاة عن الأمر، ولكن قطع ذلك

مشهد ظهور الكاهن يامي على سطح الدير ووقف ينظر للطوافين فشرع الجميع في السجود له حتى تلك المراهقة التي تتحدث مع كاو، بينما ظل الأخير لا يفهم ما يحدث؛ فقامت الفتاة بجذب يد العقرب حتى يقلدها ويفعل كما يفعل الجميع هنا، فتردد كاو للحظات، ولكنه فعل في النهاية، همست له الفتاة:

- ذلك هو يامي، أكبر مجنون يعيش في تلك القرية.. ولكنه ليس خطيرًا على أي حال مجرد مهووس بالحكم والعرش فقرر إقامة قرية في المنأى وحكمها.

همس كاو وهو ينظر إلى الكاهن يامي:

- أرى ذلك، القرى كلها يحكمها المجانين..

تأملت الفتاة المشهد من أمامها، أردفت:

- أخشى أنها ليست القرى وحسب، لا تنكر أن الفراعنة والكهنة وكل حكام تلك الأرض قتلة ومجرمون.

لم يرد كاو على تلك الكلمات، لا يعلم إن كان يوافقها على ذلك أم يرفض ادعاءاتها، محتمل أنه كان يريد الآن الوصول إلى علاج لما حلَّ في قريته وعلى أسرته والرحيل من تلك الأرض، رفع الكاهن يامي يده في الهواء وصرخ بصوت مرتفع قائلًا:

- انهضوا!

وقف الجميع أمام الكاهن في خشوع شديد، فنظر لهم الكاهن طويلًا وقال:

- نصف عام جديد يبدأ، أتوم رع تواصَل معي وأخبرني من سيكون المهاجر الجديد إلى أرض اللذة.

اقتحم المشهد أربعة أشخاص يحمل كل منهم طبلة ضخمة يدقون عليها بحماس شديد، وكل الحاشعين ينتظرون في أمل ورجاء أن يكونوا هم المختارون، تساءل كاو:

- ما الذي يحدث بحق الجحيم؟!

أجابته الفتاة بحماس:

- إنه الجنون يا أخي، الجنون.

اقتحم المشهد اثنان من الكهنة صغار السن يحمل كل منهما خنجرًا في يده وأخذا يتحركان بين الناس في هدوء شديد ونظرات متبادلة بينهما وبين الطوافين، همس كاو:

- ما الذي سيحدث الآن؟!

قالت الفتاة ساخرة:

- سيختار أتوم رع اثنين من الطوافين، وسينطق يامي بالمختارين ويقتلهم السيافون حتى يلحقوا بأرض الخمر والنساء، أرض اللذة!

همهم كاو وهو يتابع المشهد:

- يا إلهي!

نطق الكاهن يامي بالاسم الأول، فتحرَّك أحد السيافين في الحال وقاموا بقتله وسط سعادة بالغة من جميع الحاضرين، انقضوا عليه جميعًا وأخذوا يتنافسون بتلطيخ أناملهم بدمائه وسط ذهول كاو، العقرب للمرة الأولى في حياته يرى مثل تلك الطقوس الدينية، كاو دومًا يسمع عن التطرف الديني والجماعات القاتلة الإرهابية حين كان يعمل لدى المعبد ولكنه لم تصادفه يومًا قضية أو حدث كي يتدخل ويوقف تلك الأحداث الشاغبة المضادة للطبيعة البشرية والإنسانية، قال كاو:

- كيف توافقون على ذلك العبث؟!

أجابته المراهقة:

- هذا ثمن سنوات طويلة من الجهل والانعزال عن الدولة، أين الفرعون وجنوده والكهنة والعقارب مما يحدث هنا لسنوات عدة.. دومًا كنتم مشغولين بصراعاتكم

على الحكم تاركين تلك القرى النائية لذلك العبث.

نظر كاو إلى الكاهن يامي الذي يشرع الآن في إعلان ضحيته الثانية، فقال الكاهن بفخرٍ شديدٍ وهو ينظر إلى وجوه الحاضرين المتحمسين أن يكون اسمهم هو الثاني حتى ينالوا شرف الانضمام إلى أرض اللذة والمتعة حسب قولهم:

- أشم رائحة أرض اللذة، أسمع ضحكات شهيدنا الأول هناك، أتعلمون أنه طلب خمس نساء معًا، ذلك الخسيس استغلها.. هنيئًا له.. هنيئًا له.. والآن أخبرني أتوم رع باسم شهيدنا الثاني لتلك الليلة.. هل أنتم مستعدون لسماع الاسم؟!

أجاب جميع الحاضرين بكونهم على أتمّ استعدادهم لسماع الاسم فقال الكاهن:

- الشهيد الثاني.. أو الشهيدة هي آرم ابنتي!

شهقت المراهقة بذعر وخوف، لم يكن يتخيل كاو أن تلك المراهقة التي كانت تتحدث معه طوال الوقت وترفض شكلًا وموضوعًا ما يحدث في تلك القرية، هي آرم بنت الكاهن يامي نفسه، قالت آرم وهي ترى السيافين يقتربون منها:

- أرجوك، أرجوك.. لا تجعلهم يفعلون ذلك بي، يامي يريد التخلص مني بسبب أفكاري، يعتقد أنني أسبب له الحرج لكوني على قناعة غير كاملة بمعتقداته.. أرجوك.

اقترب القتلة منها ونظر يامي إلى ابنته فقالت الأخيرة صارخة في والدها:

- لا أريد الشهادة، لا أريد أرض اللذة!

ضحك الكاهن يامي مخاطبًا جمهوره:

- المراهقون.. المراهقون، إنه ليس قراري يا عزيزتي لو كان بكلمتي لكنت قمت بترحيل كافة هؤلاء الناس من تلك الدنيا البائسة غير العادلة، ولكن أتوم رع يرى فيكِ شيئًا ما، شيئًا جميلًا؛ لذلك يريدك جواره في أرض المتعة.

قالت آرم بعصبية شديدة:

- سحقًا لك أيها الملعون المجنون..

رفع أحد السيافين وكاد أن يهوي بيده على رقبتها فصرخت الفتاة، ولكن يد العقرب تدخلت وأمسكت معصم السياف وقال كاو بصوتٍ حادٍّ:

- الصغيرة أخبرتكم أنها لا تريد أرض اللذة منكم، إنها لا

تريد أي شيء سوى البقاء هنا..

ردَّ السياف الآخر وهو يحاول التقرب كي ينفذ هو حكم الإعدام على الصغيرة:

- هذا ليس قرارنا، إنه قرار أتوم رع ونحن ننفذه، نحن حمير الإله أتوم؛ فهو من له الحق التصرف بنا كيفما يشاء.

آرم بصوت يمتزج بين البكاء والعصبية شديدة:

- أنا لست حمارًا لأحد أيها الحمقى.

ثم وجَّهت كلامها إلى كاو مستغيثة:

- أرجوك أيها العقرب لا تتركني، لا تدعهم يقتلونني.. أتوسل إليك أنقذني.

***

توقفت مريم عن سرد حكايتها لحظات ونهضت ناحية طرف الغرفة فحملت زجاجة مياه وشربت منها وهنا نظر لي نور الدين وقال هامسًا:

- لا أرى أي شيء مثير في حكايتها، ولا أعلم أيضًا ما علاقة ذلك بقضيتها، أنا سئمت مما يحدث هنا.

نظرتُ إلى نور الدين وقلت له وأنا أشير إلى ساعة يده:

- انظر إلى ساعتك، كم الوقت؟!

رمق الساعة سريعًا وجدها الخامسة والنصف فلم يفهم الأمر في الوهلة الأولى فقلت له موضحًا الأمر:

- دخلنا تلك الزنزانة في الساعة الخامسة والنصف بالضبط، أتعلم ما معنى هذا؟!

لم يفهم أيضًا الأمر، فقلت مفسرًا كلماتي أكثر:

- الزمن متوقف تمامًا.

قاطعت كلامي السيدة مريم قائلة:

- أنا أتفهم كل تساؤلاتكم، ولكن صدِّقوني يجب نتحرك في الأحداث رويدًا رويدًا..

قال نور الدين:

- أنا لدي سؤال.

أومأت مريم فأردف نور الدين:

- هل هناك علاقة بتلك القصة والوباء الذي فيها بما

نعيشه الآن؟!.. ذلك الوباء اللعين! بالتأكيد أنك تتابعين الأمر، وبالتأكيد أيضًا تعلمين أن الموجة الثالثة دمرت بلادًا كاملة، هل هذا يندرج تحت كلماتك عن كل شيء مرتبط ببعضه البعض.

همست مريم باختصار شديد كأنها لا تود حرق أحداث قصتها:

- محتمل!

هنا تدخلت أنا في الحديث وقلت:

- أنا أيضًا لدي سؤال وأبسط من ذلك بكثير.

- تفضل، أسمعك.

كان الرد من جانبي هذه المرة أيضًا.

- لماذا تحكين عن الكاهنة لاميس بضمير غائب، أليست قناعتك الشخصية أنكِ والكاهنة نفس الشخص؟!

حاولَتْ مريم مقاطعتي، ولكنني لم أمنحها فرصة لذلك وأكملت حديثي:

- وأيضًا كيف تعلمين أدق التفاصيل في حكاية كاو مع العلم أنكِ لم تكوني جواره!

- مذهل!.. حسنًا أنا لست تلك الكاهنة بشكل حرفي، الأمر معقد كثيرًا عن مجرد وصف بسيط مثل هذا، ولكن يمكنك اعتبار تلك الكلمات إجابة واضحة، أنا لا أعترف بكوني كاهنة معبد آمون صحيح الذي أمامكم الآن هو جسدها ودماؤها، ولكن أنا شخص مختلف تمامًا عنها، هل هذا يرضيك يا عابد؟!

نظرت لها ولم أرد وأردفت:

- إن كنت غير راضٍ عن الإجابة، انتظر، محتمل أن تسمع كلماتٍ ترضي فضولك لاحقًا!

عابد أديب عابد

نُشِرَت هذه الكلمات على مدوَّنة الروحاني

الخميس الثاني من أبريل ٢٠٢١

***

صديقي القديم ليس هناك وقت، انهض قبل أن يعود!
الحلقة الثانية: مهمة أخيرة للعقارب

أصدقائي، أهلًا بكم في يوم الخميس وفي لحظة منتصف الليل، لحظة الهدوء الشديد والسكون التام، الطقس بارد جدًّا هذه الليلة رغم أننا في نهايات أبريل، الكلاب لا تكف عن النباح هنا وهناك كأنها تعلم القادم، كأنها ترى ما لا نراه نحن، أشعر أنها تحاول تحذيرنا ولكننا في غفلة عن لغتها، صوت الرعد شديد أي رعد في الربيع؟!، يا إلهي قوى الشر بدأت في عملها ولكنهم ما زالوا ينكرون الأمر، ينكرون النهاية الحتمية.. قالوا في أخبار أن هناك عاصفة شديدة وغريبة قادمة يارب السلام لجميع عبادك في تلك الأرض الطاهرة، والآن لن أطيل عليكم المقدمة وسأنطلق سريعًا إلى استئناف حكاية القاتلة أو البريئة مريم ما زلت لا أعلم بعد!

تجلس مريم أمامي ويلمع جسدها ووشومه وبرزت ندبتان على الأقل في كتفيها؛ فعلمت أن تلك السيدة رأت الكثير في حياتها، تلمع عيناها من جديد؛ عين داكنة غاضبة، والأخرى حمراء دامعة، وهنا لاحظت للمرة الأولى أن إحدى يديها منزوعة الأظافر وحينما دققت النظر أكثر لاحظت أنه يحيط بعض تلك الوشوم التي تزين

أذرعها أنسجة محترقة من بشرتها، شعرت في تلك الأثناء أنني تلك السيدة للمرة الأولى كأن كل ما مضى من وقتٍ كنت كالأعمى، ولكنني توقفت عن تفحُّص جسدها حينما رمقتني وضحكت وقالت ساخرة:

- نور الدين ليس المتحرش الوحيد هنا، مهما تباينت أراوح الرجال عقولهم واحدة، أفكارهم وشهواتهم متشابهة!

قلت حينها مدافعًا عن نفسي بقوة:

- أنا لست كذلك، أنا فقط أحاول الفهم، أحاول الربط، كل ما قيل مجرد خيوط متوازية لا رابط بينها، أنت هنا قاتلة ومع ذلك تنكرين الأمر، على وشك الموت ومع ذلك لا تبالين بأي شيء، قبل أشهر قلتِ إنكِ كاهنة قادمة من الماضي والآن لا تقولين قولًا واضحًا عن ذلك الأمر، جاءك صحفي وطلبتِ رجلًا آخر يحضر الجلسة رغم أنه لا رابط بيننا على الإطلاق، ونجلس داخل زنزانة قاتلة يقترب الإعدام منها، المفترض أننا نجلس أمام قاتلة خطيرة كيف يسمح لنا بذلك الأمر؟!، ما هذا العبث؟!، والآن تحكي لنا قصة كاو آخر عقارب الفراعين.. ما تلك السيريالية غير المفهومة؟!، ما علاقة كل هذا ببعضه بحق الجحيم؟!

كان نور الدين صامتًا يتابع الموقف فنظرت له مريم

لحظات ثم باستياء تحدثت:

- حسنًا، اصمت حتى تسمع القصة وتفهم كل ما يحدث، أنت رغم تميزك إلا أنك غير مستعد بعد!

***

تأزم موقف كاو كثيرًا بعد استغاثة المراهقة آرم بنت الكاهن المجنون يامي، لم يمتلك العقرب فرصة للتفكير وكان لا يمكن أن يسمح لنفسه بتجاهل صوت امرأة تستغيث به، تدخَّل الرجل وأنقذ الفتاة من أيدي القتلة، كانت معركة صغيرة في أرض القرية قام العقرب بقتل السيافين سريعًا عن طريق أنه سحب سيف أحدهم وطعن صدر الآخر، ثم هشم عظام رقبة السياف الأول، استشاط الكاهن غضبًا من تدخل العقرب فقام بإشعال شعلة نارية بجانبه بلون أخضر جذاب ففهم كاو الأمر والسبب قبل أن تنطق به آرم:

- يجب أن نغادر القرية في الحال، تلك النيران لجذب أضواء الجنود من المعسكر المجاور للقرية، أخي لو لم نرحل حالًا من هنا سوف نتحول إلى أشلاء قريبًا جدًّا.

كان يشعر كاو حقًّا بالخطر القادم نحوه، ولكنه لا يفهم، أي جنود توافق وتدعم ذلك المجنون في طقوسه الدموية تلك، فقالت آرم كأنها سمعت ما يجول في خاطره:

- يامي يدفع إلى قائد المعسكر الكثير حتى يوفروا له الأمان والتدخل في تلك اللحظات الحرجة، كما أن بطليموس لا يعترض على أي شكل من أشكال إثارة الفوضى داخل أسوار تلك البلاد.

لم يكن هناك وقت إلى مزيد من الكلمات؛ خاصة عندما سمع كاو وآرم صوت بوق قادم ناحيتهما من جانب المعسكر، كانت إشارة منهم بالاستجابة، إشارة توحي بالموت لمن يعكر مزاج الكاهن المجنون، تحرك كاو بسرعة ناحية أحد المواطنين الذي كان يركب على حصان، جذب الرجل من قدمه وأسقطه أرضًا ثم ركب الحصان والفتاة صعدت خلفه به في الحال، أخذ كاو يركل الحصان بقدمه برفق حتى ينطلق مبتعدًا عن ميدان الفوضى، كان يوجه حصانه بركبتيه ناحية سهل عميق في نهاية الطريق، استمر الحال عدة دقائق حتى نجح كاو بالابتعاد تمامًا عن القرية فقد ابتلعه السهل العميق حتى لم يعد يراه أي أحد من أهل القرية فلم يتمكن الجنود من اللحاق به، قام كاو بعد ذلك بمحو آثار حصانه ثم اتخذ طريقًا آخر أخبرته آرم عنه.

- هناك ناحية الجنوب، هناك عين ماء يمكننا التخييم عندها حتى نفكر فيما يحدث، لا أعلم كيف أشكرك وأي كلمات يجب أن أنطق بها الآن يا رجل، ولكن أعتذر لك عن ما حدث فقد يسبب لك المتاعب لاحقًا، أو

أخشى أنك سوف تظل مطاردًا باقي حياتك.

رفض كاو الأمر في البداية كما تجاهل كلمات اعتذارها كان يعلم أنه فات الأوان على ذلك، كان الرجل مدرك جيدًا حجم الخطر الذي حدث وأبعاده المختلفة على أسرته الصغيرة، وذلك المرض الذي يكاد أن يفتك بهم جميعًا.

- مؤكد أن يامي المجنون يعلم أنك تتحركين نحو عين الماء، يجب أن نغوص إلى قلب الصحراء، يجب أن نبتعد، بحق الآلهة ماذا فعلت هنا؟!، بحق الآلهة يا ليتني ما فعلت ذلك!، أعلم أنني سأندم على ذلك كثيرًا.

آرم مدافعة عن فكرتها:

- لا أحد يعلم عن تلك العين، أنا اكتشفتها وحدي، ولم أخبر أحدًا عنها حتى لا تكون واجهة للجميع ولا نتلوث بطقوس أبي الدموية، ولا تقلق سأظل معك حتى تحقق أي غاية أتيت إلى أرضنا من أجلها.

- لم تعد تلك الأرض أرضك، أنت مطاردة مثلي، كما أنكِ مجرد مراهقة، أنت لا تفهمين أي شيء على الإطلاق، سوف يموت الكثير جراء ما حدث هنا.

- أنا لست مجرد مراهقة، أنا لست كذلك..

- فقط اصمتي حتى لا أقتلك في تلك الأرض، محتمَل أن المجنون أباكِ كان محِقًا في شأنك.

- تبًّا للرجال كلها..

تحرَّك كاو في النهاية إلى العين خاصة بعدما شعر بدوار جديد وقطرات دموية انسابت من بين شفتيه، رأته آرم وسألته:

- ما بك يا رجل؟!، هل أنت مريض بحق الجحيم؟!

ولكن العقرب رفض الإجابة وادعى أنه بخير، ولكن الفتاة لم تصدقه أبدًا.

***

قال نور الدين متعاطفًا بشكل غير طبيعي مع كاو ذلك العقرب الذي يوشك على فقدان حياته وفقدان حياة ابنته الصغيرة.

- النساء، النساء.. لعنة الله على الناس جميعًا، رغم أنه أنقذها ما زالت ترى أن جميع الرجال ملعونين، تلك المراهقة القميئة هي امتداد كل النساء اللواتي يعشن حاليًا، نفس الفكرة، نفس العقيدة والمنهج يتم توارثه من فجر التاريخ حتى الآن، لعن الله بنات حواء كلهم.

ولكن رد فعله كان مبالغًا فيه قليلًا فلم أشعر بنفسي إلا وأنا أقول له:

- هل أنت من قوم لوط؟!، ما بك يا رجل؟!، ما كل تلك الأحاديث عن بغض المرأة، يجب أن ترى طبيباً نفسيًا، أنت بالتأكيد تحتاج إلى علاج نفسي..

لم ينظر لي وأضاف بغضب شديد كأنه يتذكر أمرًا ما، ولم يكن صعب التخيل؛ فالجميع يعلم قصة انفصاله عن زوجته:

- تبًّا للشهوة وللرغبة كلها..

- أنت مريض!

تجاهلت مريم كل هذا، وأكملت الحكاية.

***

في مساء تلك الليلة اجتمع كاو و آرم عند عين المياه يتبادلان الحديث، العقرب غارق في ابنته المريضة وما سوف يحل عليها الآن بعدما تعثرت خطته في الحصول على علاجها وعلاج القرية كلها، كان يشعر بالغضب الشديد من تلك الفتاة التي خربت عليه أمره، بينما على الجانب الآخر آرم غارقة داخل ثنايا عالم آخر تشعر أنها تعيش

أخيرًا مغامراتها الخاصة بصحبة فارس من بواسل الجيش الفرعوني، ومُحتمَل أنها الآن تفكر في الزواج منه بنهاية تلك الرحلة بعدما تظفر برقبة والدها المجرم، ومحتمل أن يحكموا هم القرية، قالت آرم:

- هل أنت متزوج أيها العقرب؟!

- السبب الوحيد الذي أتى بي إلى قريتكم الملعونة هو أنني متزوج من سيدة أقدِّرها وأحبها، أنا هنا من أجلها ومن أجل ابنتي، أنا هنا من أجلهم، ويجب أن ينصب تركيزي على ذلك الأمر، أنا هنا حتى أنقذ حياتهم، ولن أسمح بحدوث عكس ذلك مهما كلَّفني الأمر.. مهما كلفني الأمر.

- زوجتك سبب قدومك.. غريبٌ!، هذا حقًّا غريبٌ يا أخي!

تجاهل كاو كلمات الفتاة، وظلَّ شارد الذهن يفكر في ابنته، وكيفية تخليصها من عذابها، فكررت الفتاة كلماتها فلم يشعر كاو بنفسه حين مسك الفتاة من رقبتها وهبط بها أرضًا في عصبية شديدة، تألمت الفتاة ولكنها كتمت صرختها وهي تنظر إلى عيون العقرب الحادة الغاضبة لا تعلم متى تحولت مشاعر الألم داخلها إلى إثارة ورغبة وشبق، ارتفعت حرارة جسدها ولمعت عيناها، قال كاو بصوت أجش حادٍّ:

- نحن لسنا في مسرحية شعرية تلعبين فيها دور البطولة، أنا لست هرقل، ولا أنتِ فارسة من العصور السحيقة، هناك في بيت بعيدٍ أمٌّ تبكي بحرقة على ابنتها التي تحتضر، وأنتِ بكل أنانية سلبت منها أملها الأخير في إنقاذ حياة ابنتها، إن ماتت ابنتي أقسم لكِ بحق آمون سوف أقتلك أنت وأباكِ وكل أهل قريتكم.

كانت آرم لا تسمعه، أو بمعنى أدق أذنها تبدل الكلمات الحزينة الغاضبة من العقرب إلى أخرى، تتخيله يخبرها كم هي مثيرة، وكم يريد اختراق جسدها وسحقها بيديه القويتين. قبَّلته بقوة على شفتيه فردَّ القُبلة قُبلتين أو ربما أكثر، ولكنه سمع صوتَ ابنته داخل أذنيه يناديه فشهق وابتعد عن الفتاة وأخذ يبكي بحسرة في جانبٍ بعيدٍ، اقتربت منه الفتاة وقامت باحتضانه بما تحمله داخلها من مشاعر أمومة تجاه ذات الرجل، سألته عمَّا به ومَن الذي دفعه إلى قرية يامي فحكى لها كل شيء، صمتت الصبية بعض الوقت ثم قالت:

- رغم أنني لا أعلم أيَّ علاجٍ يمتلكه أبي، وكيف يكون الأحمق يامي هو الحل الوحيد لما حلَّ على أرضكم من لعنات، ولكن أظن أنني أمتلك فكرة مناسبة لحل تلك المعضلة ورد الدين لك، ما رأيك أن تعود إلى قريتك وتطلب من الكاهن آنو الثالث أن يرسل رسول غيرك لجلب العلاج؟!

رفض كاو الفكرة في نفس ذات اللحظة وردَّ:

- هذا مستحيل، لا يمكن لابنتي أن تنتظر خمسة أو سبعة أيام حتى أعود للقرية، وبعدها عشرة أو أكثر أيام ذهابًا وإيابًا لرسول آخر، لا يمكنني المخاطرة بهذا الأمر.

- حسنًا، أظن أنني أمتلك فكرة أخرى أفضل من السابقة، ولكنها خطيرة بعض الشيء.. أو خطيرة جدًّا ما علينا، أنت قلت إن الحمام الزاجل يتحرك بين الكاهن آنو وبين يامي، لو تسللنا برج الحمام الزاجل في معسكر الجنود القريب من قرية يامي، الملعون يامي يكتب بالدماء على كل حمامة اسم الكاهن المخصص لها الذهاب إليه، أنت تعلم بكل تأكيد أن الحمامة لا تدري سوى طريقٍ واحدٍ ذهاب وإياب في الرسائل، يعني لو ذهبنا إلى هناك واستطعنا الوصول الحمامة المدوَّن عليها اسم الكاهن آنو يمكنك إرسال معها رسالة إلى كاهنك، وتخبره أن الأمور تأزمت هنا وأنك بحاجة إلى رسول جديد وهذا سيوفر الكثير من الوقت عليك وعلى ابنتك المسكينة.

أخذ كاو يفكر في خطة آرم، بدت مناسبة بعض الشيء، ولكن يجب أن تكون الآلهة في صفه بقوة حتى تنجح هذه الخطة فالمخاطر تحيط بتلك الخطة كثيرة جدًّا أولها إمكانية التسلل إلى برج الحمام بدون لفت نظر الجنود وإقامة حرب تنتهي بموته، ثانيًا فرصة إيجاد الحمامة المحددة المدون علينا اسم الكاهن وثالثًا نجاح الحمامة في الوصول إلى الكاهن آنو

ونجاح الأخير في إيجاد بديلٍ بسرعة وإرساله، همهم كاو:

- لا أعلم، ولكن لا أشعر أنني أملك حلًّا آخر..

كادت الفتاة أن تتحدث، ولكن كاو أشار لها بالصمت في الحال، همس لها فتساءلت بصوت خافت:

- ماذا هناك؟!

أجابها هامسًا:

- هناك صوتٌ يقترب منا..

تبدلت ملامح الفتاة من الراحة إلى ذُعرٍ شديدٍ وهي ترى شيئًا ما خلف كتف العقرب كاو. نظر كاو خلفه فوجد اثنين من الرجال ضخام الجثة يرتدي كلٌّ منهما دروعًا حربية وفي أيديهما سلسلة حديدية يتصل طرفها الآخر بكلب هائل تحسبه في الوهلة أنه ذئب عملاق، ويحمل كلاهما في يده الأخرى سيفًا مقوَّسًا ويخفي كل منهما وجهه بقناع حديدي مرسوم عليه وجه تمساح، يعلم كاو جماعة وجه التمساح تلك في رحلاته القديمة وقت عمله في خدمة معبد آمون، ويعلم عنهم أنهم رجال من مختلف طوائف الشعب، ولكنهم يعملون في صيد الكنوز، مؤكد أن خبر هروب آرم مع أحد الغرباء تسرب إلى عدة مناطق مجاورة فسعى إليهم صائدو الكنوز بحثًا عن المكافأة

التي يأخذونها فور تسليمهم إلى يامي أو المعسكر القريب من قريته، كانت ملابسهما حربية وتخص جيش بطليموس؛ ففهم كاو أنهما جنديان لدى الجيش، ولكنهما يعملان لصالحهما، وأنهما جاءا لتلك المنطقة النائية وحدهما بدون دعم، وذلك طمأن العقرب المصري بشكل كبير. بقوة وبساطة وخفة، انقضَّ العقرب بواسطة خنجر يحمله قتل الكلب الأول ثم الثاني وتفادى محاولتين للجنود للانقضاض عليه بسيوفهما، كاد أحد السيوف يخترق صدر آرم، كاو دفعها بعيدًا عن محيط الخطر وأكمل مهمته حينما قام أحدهم بالهجوم عليه تفادى النصل من جديد وأمسك بمعصم الجندي ووجَّه الضربة للجندي الآخر فسقط قتيلًا في الحال، لم يصدق الجندي أنه قتل صديقه فارتعشت يده وشعر بالخطر الشديد وحاول الهرب، ولكن كاو يعلم جيدًا أنه لا مجال لهروب ذلك البائس المسكين؛ فهو يعلم أكثر من اللازم ومؤكَّد فور وصوله إلى المعسكر سيأتي من جديد، ولكنه لن يكون وحيدًا هذه المرة، فلم يملك العقرب خيارًا أمامه سوى أن يلحق الجندي بصديقه فسقط الهارب قتيلًا جوار جثة الآخر وتختلط دماء الجنود بدماء كلابهما فصرخت آرم من المنظر الدموي، وسيطرت عليها حالة هستيرية من البكاء الشديد، أمسك كاو ذراعيها بقوة وقال لها بصوت حاسم:

- كفى بكاءً، ألم تكوني تريدين حياةً مثل حياة العقارب، ما يحدث أمامك هو حياة العقارب، عشت عشرين عامًا من حياتي أشاهد تلك المشاهد يوميًّا، الآن

لا مجال للتراجع يجب أن نتحرك في الحال، يجب أن أتسلل وأعود إلى يامي وأجبره على الحديث، سأعذبه وسأقطع أشلاءه حتى يخبرني بما يعلم عن لعنة أرضنا.

بعد رحلة من التخفي والتسلل نجح الثنائي في الوصول إلى القرية ومن ثم دير يامي، ساعد كاو ورفيقته قرارات حظر التجوال التي يفرضها عليهم الحكم البطلمي، فقد كانت الشوارع خالية تمامًا من الحياة والبشر، الدير خالٍ تمامًا من أي إنسان، آرم مندهشة جدًّا لعدم وجود أبيها في البيت، قالت وهي تتطلع إلى أرجاء منزلها وهي تعلم يقينًا أنها المرة الأخيرة التي سترى فيها منزلها على الإطلاق:

- لم يغادر أبي طوال حياته الدير في تلك الساعات المظلمة من الليل، أين ذهب ذلك الأحمق بحق كل الآلهة؟!

على الجانب الآخر لم يكن كاو مهتمًا في تلك الأثناء لغياب يامي عن المشهد، أخذ يبحث في أشياء الكاهن وكتبه عن أي شيء ذي قيمة يساعده في الوصول إلى ما يريده، الدوار يشتد عليه وكذلك الصداع يضرب رأسه بلا رحمة، جسده ضعيف وعقله يحتاج إلى النوم، ولكن العقرب يقاوم إنسانيته بشدة وقوة وألم، على طاولة في منتصف المكان وجد كاو رسالتين عليهم توقيع الكاهن آنو بنفسه، تطلع فيهم وقرأهم وكان وقع الصدمة عليه عظيم جدًّا.

الرسالة الأولى كتب فيها الكاهن آنو:

«تحية طيبة صديقي يامي، أكتب لك اليوم لقربك من معسكر القائد ميدوخ التابع لجيش بطليموس العظيم، أكتب لك كي أخبرك بوجود العقرب الهارب كاو، ذلك العقرب الذي تسبب في مقتل الإسكندر الأكبر العظيم، ذلك العقرب خطير جدًّا وله عدد ليس قليل من الاغتيالات السحرة والقتلة والقادة ومصاصين الدماء.. ومن ثار وساهم في قتل ملك البلاد من قبل ومحتمل أن يكرر الإثم من جديد. أنتظر ردك أخي الكريم.»

الرسالة الثانية كتب فيها الكاهن آنو:

«وصلت لي خطتك الكريمة، في البداية أشكر اهتمامكم بي، حسنًا سأخبر العقرب أننا في خطر وباء سوف أستخدم السم لجعل الصغيرة والعقرب يستنشقونه، وبذلك سيشعر العقرب بخطر شديد، خطر يجعله يتحرك نحوكم دون تفكير ومن ثم يتم القبض عليه في أرضك وتسليمه إلى جماعة أنخ السرية التابعة للملك بطليموس نفسه، أخيرًا أكرر لكم مرارًا وتكرارًا ذلك الرجل خطير جدًّا يجب القضاء عليه وإعدامه في أسرع وقت ممكن ومن ناحيتي فور رحيله سأحرق أسرته بالكامل.»

همهم كاو في ذهولٍ:

- ما معنى هذا الكلام؟!

تذكر زيارة الكاهن له في ظلمات الليل، وربت على خدي ابنته مما جعلها تستنشق منه السم، وكذلك فعل نفس التصرف مع كاو نفسه، قال العقرب مخاطبًا نفسه:

- سحقًا لي، لم يكن هناك أي لعنات.. كل شيء كان مدبرًا من البداية، لقد خُدعت وتم الإيقاع بي، لولا تدخلي لإنقاذِك لكان تم إعدامي، الكهنة نصبوا لي فخًا، ولكن أسرتي...

اقتربت آرم من العقرب وسألته:

- ماذا تقصد بكلماتك؟!، أنا لا أفهم أي شيء منك!

- يجب أن نرحل من هنا فورًا، أسرتي في خطر شديد.. إنهم يظنون أنني قتلت الإسكندر الأكبر،إنهم سيقتلون الجميع!

ولكن كانت كلماته متأخرة، وقد فات أوانها، أحاط جنود ميدوخ الدير ثم اقتحموا وسيوفهم كلها موجَّهة إلى صدر الرجل والفتاة، حاول العقرب المقاومة ولكنه فشل وتلقى ضربات عدة متتالية وتساقطت الدماء منه بغزارة حتى الفتاة لم تسلم من تلك الاعتداءات وتم القبض عليهم وأسرهم داخل عربات تجرها الأحصنة، واتجه الموكب

نحو معسكر القائد ميدوخ، صاح كاو في الطريق بصوت أجش اهتزت له قلوب الجميع فزعًا وخوفًا:

- سأقتلكم جميعًا، إن حدث شيء لزوجتي وابنتي سأقتلكم واحدًا وراء الآخر حتى بطليموس الملعون نفسه لن يسلم من قبضتي!، سأقتله كما قتلت الإسكندر.. سحقًا للبطالمة جميعًا، سحقًا لمقدونيا وأهلها وشعبها وجيشها وملوكها..

***

قالت مريم بتأثر شديد أو بسخرية لا أعلم تحديدًا:

- مسكين ذلك الرجل.

ردَّ نور الدين بنبرة حزينة:

- الفقدان والوحدة يا له من داء! أنا أيضًا أشعر بمرارة ذلك الرجل.

وهنا تذكرت فقداني لأبي وكيف أجبرته الظروف على التضحية بذاته خوفًا على حياتي، ولكنني لم أعبر عن مشاعري أمامهم وطلبت منها أن تستمر في سرد حكايتها، فجأة صرت أنا ونور الدين لا نهتم بمريم وقضيتها وإعدامها وأيضًا صرت لا أهتم كيف ستتلاقى تلك الخيوط ببعضها

البعض وصارت حكاية كاو وأسرته هي عنوان كل شيء حولي.

***

داخل معسكر القائد ميدوخ تقابَل كاو أخيرًا وجهًا إلى وجه مع الكاهن يامي، اللقاء المرتقب من كِلا الطرفين طويلًا، كانت القضبان تفصل بينهم، ولم يكتفِ الجانب البطلمي بهذا وحسب بل قيدوا العقرب بالسلاسل الواصلة بين أرجله ويديه ورقبته، جلس يامي أمام العقرب ولاحظ الأخير أن الكاهن لم يكن متقدمًا في العمر كما كان مفترضًا وتعجب لكونه والد لتلك الفتاة اليافعة، قال يامي:

- العقرب أخيرًا بين أيدينا، كنا نعلم أنك كلمة السر في إسقاط الإسكندر المقدوني، صحيح أنك ساهمت في توصيل بطليموس إلى الحكم ولكن الملك لا يثق بك ولا يثق في العقارب كلها أو الكهنة المصريين، لذلك قرر الملك أن يحاسب الجميع على أخطائه السابقة، الأخطاء التي لا يمكن للزمن أن يغفرها.

تذكر تلك الأحداث وحاول الاقتراب من يامي، ولكن الأغلال منعت ذلك فقال بصوت غاضب:

- الإسكندر في أيامه الأخيرة تحالف مع الفُرس ضد

المصريين، فكان لا بُدَّ لنا من التدخل وتعديل الأمور، واحترامًا لدوره في إنقاذ البلاد من الفرس لم ندوِّن في التاريخ جرائمه، وسنكتب أنه مات في ظروف غامضة، مثل تعرُّضه للحمى أو الطاعون أو شيء آخر عدا الاغتيال.

صفق يامي ساخرًا:

- كلمات مميزة، ولكنني أخشى أنها لن تفيدك كثيرًا، المحاكمة قريبًا ستكون داخل الإسكندرية، وستقف فيها بجانب من تبقى من الكهنة والعقارب على قيد الحياة وستحاكمون ويتم تنفيذ حكم الإعدام أمام الجميع حتى تكونوا عِبرة للجميع ورسالة لكل من تسوِّل له نفسه في التمرد من جديد.

نهض يامي من مقعده واتجه مغادرًا المكان وقال كاو:

- يامي، افعل ما تريد، ولكن اترك زوجتي وابنتي، لا تنسَ أن حسابك مع الكهنة والعقارب فقط!

توقف يامي والتفَّ ونظر إلى كاو:

- لا تقلق ستقابلهم قريبًا في الجحيم..

- لا يمكن أن تكونوا فعلتم ذلك؟!

اقترب يامي من الزنزانة مرة أخرى ونظر في عيون العقرب في تحدٍّ:

- تم حرق بيتك وتم تأكيد احتراق ميريت ولاميس ومحتمل أنه الآن يتم مراسم التحنيط والدفن لهم.

كانت ليلة شديدة القسوة على العقرب، يحاول تخيُّل مقدار الألم الذي تعرضت له ابنته وزوجته، ويتخيل أول جزء من بشرتهم احترق أولًا، أول صرخة صرختها الطفلة وبكاء أمها العاجز عن إنقاذها، تخيل كم مرة قامت الزوجة بنداء زوجها، ولكنه لم يكن بالقرب منها ليلبي صوتها وينقذ روحها، زوجها في تلك اللحظات يساعد غريبة لا يعرفها صرخ كاو متألمًا ونادمًا على اللحظة التي غادر فيها بيته، ولكن لا فائدة من الندم الآن، سقط العقرب على ركبتيه متألمًا باكيًا يود سحق الجميع، يود قتل كل من ساهم في تلك اللحظة التي عاشتها أسرته، يود قتل كل إنسان تنفس في تلك الليلة التي احترقت فيها زوجته، أراد قتل الجميع ثم قتل نفسه.

- آمون، ارحم روحي.. آمون، امنحني فرصة للثأر أرجوك!

***

نور الدين بتأثر شديد وهو يسمع كلمات مريم:

- حسنًا لم أتوقع ذلك!، دومًا في الحكايات والروايات والأفلام لا تتم الأمور هكذا، تم سلب كل شيء من البطل، العقرب الآن وحيدٌ لا يملك أي أمل للاستمرار في الحياة، حتى الثأر مبدأ غير موجود، الإنسان حينما يودُّ الثأر يريد استعراضه أمام الجميع، حتى يعلم الكل أن المظلوم لم يعد كذلك وأنه منتقم جبار، ولكنَّ بطلَنا هنا مسكين يائس وحيد، أعتقد أن مصيره الانتحار.

ردَّت مريم بصوت هادئ:

- أنت لست في فيلم ولا رواية، إنها الحقيقة، والحقيقة دومًا مختلفة وتفاصيلها مؤلمة، وغدر الزمان لا يصدق أيها الكاتب، البشر أسوأ الكائنات على وجه الأرض، لو كان الأمر بيدي لكنت دمرتهم جميعًا، كائنات لا تستحق شيئًا سوى الفناء.

ثم نظرت لي وقالت:

- ألا تمتلك أنت أيضًا رأيًا في تلك الأحداث؟!

صمتُّ لحظات أفكر، وبعدها همهمت بصوت منخفض يكاد يُسمَع:

- ما زلت مشتتًا بعض الشيء من التفاصيل، أعتقد أنني متطلع أكثر لما سيتم سرده الآن.

***

حسنًا يا رفاق، هذه المرة سنغوص في الماضي أكثر، قبل تلك الأحداث المأساوية بخمس سنوات هبط كاو على قرية الكاهن آنو للمرة الأولى، كانت تلك الفترة الزمنية تمتلئ بالتغييرات السياسية، فقد سقطت مصر على أيدي الفُرس بواسطة الملك داريوس ووزيره إخناسيس بن بوران، قيل عن الأول إنه كان مبارزًا قويًّا صارعٍ ثلاثة أسود معًا وقتلهم بدون استخدام أسلحة وقيل أيضًا عنه أنه قام برحلة لمدة مائة يوم وليلة في الصحراء السحيقة وذات ليلة وهو يقوم بطقوس مظلمة وتقابل مع الشيطان وباع الملك الفارسي روحه إلى فارس الظلام وعاد إلى بلاده، كائن آخر يمتلئ بالوحشية والسواد وسفك الدماء البريئة، أما عن الوزير إخناسيس، فالمصادر الكتابية عنه ليست كثيرة حتى إنه هناك مشككون كثر في حقيقة تلك الشخصية، ولكن الحكايات والأساطير وشهود العيان تقول إن إخناسيس هجين بين علاقة آثمة جمعت بين سيدة زانية وكيان مظلم من عالم آخر، ساحر، قاتل، أبدي، والكثير من الصفات المجهول مصدرها وأيضًا لا يقين في حقيقتها، نجح الثنائي في هدم أسوار مصر وأسر الفرعون ومن ثم قتله، فقام الكهنة بقيادة الكاهنة لاميس والعقارب بقيادة كاو بمساعدة الإسكندر المقدوني في هزيمة الفُرس والملك داريوس والساحر الملعون إخناسيس، ولكن الأحداث تأزمت من جديد حينما حاول الملك

المقدوني الشاب الطموح، نبذ مساعدة الجميع والسيطرة على الحُكم وحده، فقام العقرب بالتعاون من جديد مع الكاهنة الجميلة وخلصوا العالم من شر حاكم طاغٍ آخر، ولكن تمت تلك العملية في الخفاء وبعيدًا عن عيون الجميع؛ فبدا الإسكندر ملكًا عظيمًا حكم البلاد حتى وافته المنية في ظروف غامضة.

بعد تلك الأحداث والتقلبات السياسية عقد اتفاقًا بين الكهنة المصريين ووزير الملك الشاب الراحل الإسكندر على أن يكون هو الخليفة، ولكن تحت راية المصريين وإرادتهم، وافق بطليموس في بداية الأمر وكانت الأمور تسير إلى السلام وإلى حقبة تاريخية هادئة عمَّ فيها الرخاء على أرض الآلهة والأهرامات والمعابد، ولكن من المتضح أن دوام الحال محال، وأن هناك مَن يحاول تعكير المياه النقية وبث السموم فيها، فهناك أيادٍ نجحت في إقناع بطليموس بضرورة تكرار خطأ الإسكندر في خيانة المعبد والمصريين، ولكن بطليموس خشي الاغتيال كسابقه على أيدي الكهنة والعقارب.

رحل كاو عن المدن المتقدمة بعد سقوط الإسكندر وتولي الملك الحالي، قرر الاعتزال عن كونه أحد العقارب المحاربين وأن يحيا حياة طبيعية، ويكوِّن أسرة بعيدة عن الأجواء الشاحنة ويستغل ما تبقى له من سنوات بممارسة الحب وشرب الخمر ليلًا ونهارًا، حاولت الكاهنة لاميس منع كاو من الفرار بعيدًا عنها، ولكن كاو أصرَّ على

الرحيل، حينما هبط العقرب أول مرة أرض الكاهن آنو الثالث لم يخبر أحدًا عن تاريخه قَطّ، تقابلِ حينذاك مع رجلٍ يُدعَى ليل، كان شابًا أسمر البشرة قادمًا من الجنوب نحو أرض الأهرامات باحثًا عن فرصة لبدء حياة جديدة، يومها اصطدم الاثنان ببعضهما البعض في منتصف سوق القرية أمام سيدة تبيع القطط المحنطة المباركة، كان (ليل) يصرخ في السيدة بقوة ويكاد يبكي من فرط الذعر.

- بالتأكيد هناك حلٌّ لما يحدث لي، أنتِ بالتأكيد تعلمين الأمر، الكل هنا أجمع لا حلَّ لتلك اللعنة سواكِ أيتها العجوز الشمطاء.

يومها كانت السيدة البائعة غاضبة بشدة، وكانت تردّ عليه بعصبية وصوت لا يقل حدة عن صوته الأجش:

- ارحل أيها الحمار من أمامي، لتمت أنت وأهلك وأسرتك جميعًا بتلك اللعنة، لا أعلم أيَّ رحمٍ نجس ألقى بك إلى عالمنا أيها المعتوه.

تدخل حينها كاو في الحديث بدون تفكير؛ فقد كان الشاب ما زال متأثرًا بحياته القديمة، الحياة التي وهبها طويلًا في خدمة الجميع والبحث نحو السلام والاستقرار:

- ما بكم يا قوم، كل شيء يمكن حلُّه بصوتٍ منخفض، الناس جميعها تشاهدكم وأخشى عليكم من جنود المكان.

قال ليل ساخرًا ومستنكرًا:

- أي جنود، تلك الأرض تناست من الجميع، لا يساعدنا أحدٌ، لا حكام ولا جيش ولا حتى الآلهة.

صمت لحظات ثم أضاف ساخرًا من جديد:

- قرية الآلهة، سحقًا للآلهة..

قام كاو بالتساؤل من جديد عما يحدث هنا وما هو سبب شجار أحد العامة أو المواطنين مع تاجرة الأثريات، فردت السيدة هذه المرة بصوت يمتلئ بالكثير من السخرية والاستهزاء:

- إنه يعتقد أن بيته يحتوي على لعنة ما سوف تودي بحياته، ويريد مني أن أمنحه مومياء قطة تساعده على تحرير روحه.. يا ليتها تفعل وتخلّصنا، من المفترض أن ينتقي آنو الثالث من يريد العيش بتلك الأرض.. قرية الآلهة صارت لا تجذب سوى حثالة البشر.

قال ليل والدموع تكاد تنهمر من عينيه:

- ليس الأمر هكذا، تلك الشمطاء أخذت كل أموالي ومنحتني مومياء فقط، ولكنها لم تمنحني أي مفعول، وحينما شككت في الأمر وقمت بفتح أشرطة المومياء..

السيدة مقاطعة كلماته:

- كيف لك أن تدنس المومياات الطاهرة، سخمت سوف تلعنك ليلًا ونهارًا، صلِّ من أجل رحمتها.

ردَّ كاو على الرجل متجاهلًا كلمات السيدة:

- وماذا حدث بعدما قمت بإزالة أشرطة المومياء؟

أردف ليل بغضب شديد جدًّا:

- لن تصدق أبدًا، لم تكن قِطًّا بل ضفدعًا، أي تاجر كافر ملحد يفعل مثل هذا التصرف، بائعة المقدسات والآلهة تغش وحينما ذهبت إلى الكاهن وأخبرته، أخذَ يحدثني عن فضيلة التسامح والحماقة، وحينما ذهبت للجنود وأخبرتهم بالأمر أخبروني إن لم أرحل من هنا سيتم إعدامي بذنب إزعاج أبناء بطليموس، سحقًا لهم ولبطليموس اللعين.. يا ليت الفرس بقيوا حُكامَ تلك البلاد إلى الأبد بدلًا من هؤلاء الحمقى.

كانت تلك الكلمات في زمنٍ ووقتٍ آخرين، كافية بالنسبة للعقرب كي يتخذ قرار الاعتقال للشاب الحزين، ولكن الوقت تغيَّر وصار العقرب ليس بعقرب، كما أن الزمن لعب دورًا كبيرًا في حياة كاو، دورًا جعله أقل

حدة وغضب عن السنوات السابقة له، انتهت المحادثة، ورحل ليل عن المكان وخلفه كاو، ابتعد الثنائي عن السوق، ولكن الفضول اقترب كثيرًا من كاو فتحرك من جديد ناحية ليل وسأله:

- والآن أخبرني، أيُّ لعنة تخشاها لهذا الحد؟!

لم يجِبه الرجل، وردَّ السؤال بآخر:

- ولِمَ أنت مهتمٌّ يا أخي؟!

نظر كاو إلى الرجل وفكَّر في الرحيل، ولكنه لم يفعل ذلك في النهاية، كانت عقيدته كعقرب فرعوني ما زالت تسيطر على خلايا جسده رغم أنه تعهَّد بتغيير ذلك الأمر حينما يهبط إلى تلك الأرض الجديدة، ولكنه أقنع نفسه أن تلك التغييرات الكبيرة تحتاج إلى وقت ليس بالقليل.

- أخشى أنني أكبر فرصة لك للتخلص من لعنتك، أنا سأخبرك بأمر ما ولكن تعدني أن يبقى سر بيننا

- حسنًا.

أومأ كاو وأضاف:

- أنا من كتيبة العقارب، أي عشت سنوات طويلة

جدًّا مع الكهنة وداخل المعابد، وأعتقد أنني أعلم الكثير من الطلاسم والتعاويذ وغيرها، أخبرني ما الأمر المخيف بالنسبة لك، محتمل أن أكون خلاصك!

لمعت عينا ليل في تلك الأثناء، كانت المرة الأولى التي يشعر فيها ذلك الرجل أخيرًا أنه من المحتمل أن يجد حلًا لتلك الأزمة والمعضلة، فإنه طالما سمع عن هؤلاء الرجال الملقبين بالعقارب، طالما سمع عن شرفهم وحبهم للتعاون وإنقاذ الناس وحل مشكلاتهم، قال ليل:

- لم أكن أعلم أن أعضاء تلك الكتيبة ما زالوا يخدمون المواطنين.

تنهد كاو وقال بصوت هادئ:

- حسنًا، ما أفعله الآن معك أقوم به بصورة غير رسمية، أنت بالتأكيد تعلم أن أمر العقارب انتهى منذ سقوط الفرس.

- مؤسف ما جرى، ومؤسف ما يحدث يا أخي، المهم أنني يوم جئت إلى تلك الأرض أنت بالتأكيد تعلم أن تلك القرية قديمة جدًّا، محتمل قبل التاريخ والفراعنة كلهم والقانون هنا يحث على...

قاطع كاو كلمات ليل:

- القانون يحث على أن كل مواطن يجب أن يحفر الأرض حتى يجد بيتًا يعمره ويصبح ملكه إلى الأبد.

أومأ ليل موافقًا كلمات كاو:

- نعم أيها العقرب، بالضبط يجب أن نبحث على البيوت ونعمرها وهكذا تكون ملكنا، ولكن حظي التعيس جعل من نصيبي بيتًا مميزًا، أظن أنه في سالف العصور كان يعيش فيه ساحرًا ما، البيت ممتلئ بالطلاسم والأحاديث الغريبة على كافة الجدران، كلمات غير مفهومة، ولكنني متأكد أنها ليست عبثية، أظن أنها كلمات وعبارات من لغة عفى عليها الزمان.

كاو متسائلًا في استنكار:

- ولماذا أنت مهتم هكذا يا رجل؟ فلتذهب الكلمات والسحرة القدماء إلى الجحيم، أنعِم أنت في بيته بدون تفكير طويل.

- كيف سأفعل ذلك، أقسم بكل الآلهة إنني لا أبحث عن المتاعب، وكان ذلك هو هدفي بالفعل، ولكن أتعلم أن بيتي ليس الوحيد الذي ظهر فيه تلك العبارات الغريبة.. هناك بيتان آخران بهما نفس الأمر، ولكن المخيف يا أخي أن سكان تلك البيوت ماتوا ذبحًا في ظروف غامضة، أعتقد أن السحرة ساكني تلك البيوت

قديمًا ما زالوا في الجوار، ما زالوا غاضبين لأننا اقتحمنا أرضهم ومساكنهم، وأعلم يقينًا أنهم سيظفرون بي أيضًا مثل السابقين، أخي أنا خائف...

تنهد كاو وقرر الذهاب مع ذلك الرجل إلى بيته وفهم ما يحدث، كان يعلم العقرب أن مؤكد كلمات الرجل ليست دقيقة، وأنه بقليل من التنقيب داخل عبارات سيكتشف أن هناك كثيرًا من المغالطات.

- حسنًا، هيَّا بنا، دَعني أشاهد تلك العبارات على جدران بيتك.

حينما وصل الثنائي إلى البيت الغريب، وجد كاو أن كلمات الفتى على حق، وأن البيت بالفعل يمتلئ بعشرات الرموز الغريبة، قام العقرب حينذاك بنسخ تلك الرموز والرسومات على ورق بردي ثم طلب من ليل أن يدله على البيتين الآخرين اللذين تمتلئ جدرانهما أيضًا بتلك الرموز، ولكن الرجل تساءل قبل أن يجيب على كاو:

- هل تلك الرموز مألوفة لك على أيِّ حالٍ؟!

أجابه كاو بدون أن ينظر له:

- أشعر أنني رأيت شيئًا كهذا من قبل، ولكنني لا أذكر الأمر، لا عليك فقط أخبرني أين البيوت الأخرى، وأعِدُك

أنني سأجد تفسيرًا لكل ما يحدث.

وقع البيت الثاني الحامل لتلك اللعنة في الأطراف الشرقية للقرية، فهذا البيت خاص بعائلة مكوَّنة من أم وابنها جاءا من الفيوم نحو تلك الأرض النائية هربًا من زوجها الطاغي، وذلك الأحمق كان من جنود الفرس، فعرض على السيدة الزواج ووافقت هربًا من الفقر وطمعًا في السُّلطة التي كانت بين أيديهم، ولكن الأمور ساءت بعد ذلك وتحول الفارسي إلى طاغٍ قاسٍ؛ فهربت الزوجة ذات ليلة نحو الصحراء عازمة على التحرك إلى الساحل الشمالي ومنها تركب سفينة نحو بلاد أخرى بعيدة، أي بلاد لا تحكمها الفرس ولكن الصدفة قذفتها إلى تلك القرية في طريقها، استقبلها آنو بحفاوة شديدة ومنحها البيت في الحال، بل وساعدها شخصيًّا في تطهيره وإعداده، ولكنها ماتت ذبحًا مع ابنها الصغير في ظروف غامضة، اقتحم كاو البيت المهجور سيء السمعة، الأتربة تغطي كلَّ ما فيه؛ فأخذ يبحث حتى وصل للحائط الملعون، وقام بنسخ الرموز كما فعل من قبل على ورق بردي آخر، ثم أخذ يجول أطراف البيت محاولًا استنتاج ما حدث هنا ليلة الجريمة.

وجد قطعة من القماش مغموسة في وعاء به ماء بالقرب من فراش الصغير، استنتج كاو أن الطفل كان يعاني من الحمى قبل ذبحه، جوار حائط البيت وجد العقرب أيضًا آثارَ قيءٍ؛ فظنَّ أن الأم محتمَل أنها تعاني من الأعراض نفسها خاصة حينما وجد كوبين بهما رائحة نافذة، رائحة

تخص الأعشاب الطبية، فعلم بدون شك أن الأم وابنها مرضا قبل الحادثة وقامت السيدة بجلب بعض الأعشاب الطبية للتعافي، عاد كاو إلى ليل في تلك الليلة فسأله الأخير في حماس وفضول:

- هل وجدت شيئًا ذا أهمية؟!

شرد ذهن العقرب لحظات ثم أجابه:

- لا أعلم بعد.

- ما رأيك أن نغلي بعض الأعشاب المقدسة ونحتسيها سويًّا في تلك الليلة القمرية الجميلة ونحاول تناسي كل شيء.

- أريد أن أتساءل أولًا عن أطباء تلك القرية، من صانعي والعالمين بالأعشاب الطبية هنا..

نظر ليل إلى صديقه لحظاتٍ يفكِّر في مغزى سؤاله، ولكنه لم يفهم فأجابه على أي حال:

- هناك شخصٌ وحيدٌ فقط هنا يلجأ له الجميع، رجل طيب يعيش شمال القرية في معبد الإله سوبك، يقولون عنه إنه قدَّم قرابين عديدة للإله الغريب فمنحه الأخير معرفة لا تنتهي بشأن الطب ومعالجة الناس، ذلك الرجل يدعى

شديد.

نهض كاو وشرع في الرحيل، تساءل ليل من جديدٍ:

- هل أنت تشعر بالسوء؟! هل هناك شيء يؤلمك؟!

أجاب كاو الرجل وهو يرحل:

- لست أنا، السيدة وابنها كانا مريضين، ومؤكد أنهما قاما بزيارة ذلك الرجل قبل موتهما، ذلك الطبيب هو آخر مَن شاهد الأسرة التعيسة قبل الموت، سأذهب إليه لعله يعلم أي شيء عن اللحظات الأخيرة في حياتهما.

صباح اليوم التالي وصل كاو إلى معبد الإله سوبك، بعدما عبر البوابات الهائلة وتحرك بين صفّ التماثيل المشكَّلة على هيئة تماسيح عملاقة، ثم أنار الشموع أمام تمثال الإله سوبك الذي يتخذ هيئة بشرية تحمل رمحًا ضخمًا مع وجه تمساح تعلوها شعلة هائلة، سأل أحد المارة في المكان عن الطبيب والكاهن شديد، فأخبره الرجل أن الكاهن يجلس في غرفته المقدسة مع الإله سوبك ولا يجوز له اقتحام الخلوة الآن، وأخبره أن يعود بعد الغروب، تفهَّم كاو الأمر وقرر التجول في المعبد حتى موعد اللقاء المرتقَب، في تلك الأثناء وجد أحد المصلين أمام تمثال الإله الكبير يتضرع ويبكي بحرقة شديدة، كان يبكي بكاءً هيستيريًّا ويتوسل للإله أن يساعده ويخلصه من أزمته، اقترب منه

كاو بفضول بعض الشيء ولعله يستطيع مساعدة ذلك الحزين المسكين حتى تغرب الشمس، قال كاو:

- هل كل شيء على ما يرام؟!

- شكرًا سوبك، شكرًا سوبك سأقدم لك كل ذهب زوجتي لأنك لبيت ندائي وأرسلت ذلك العقرب كي يساعدني.

كان كاو قلقًا من حماس الرجل الزائد:

- أيها الرجل الطيب، دعنا لا نحتفل مبكرًا، أنا اسمي...

الرجل مقاطعًا العقرب:

- أنت كاو، أنت كاو من معبد آمون وحدك لا تذكرني.

نظر كاو إلى ملامح الرجل، كان يشعر أنه مألوف بعض الشيء، ولكنه ما زال لا يتذكر أي ماضٍ جمعهما من قبل.

- كاو، نحن تقابلْنَا في أحد أسواق الفيوم من قبل، يومها كنت حزينًا كالعادة وأبكي بدلًا من الدموع دماءً، أخبرتك يومها أن ابني ضائعٌ، أرسلته لجلب الخبز من الخباز ولكنه لم يعد قَط إلينا..

أومأ كاو متذكرًا الحكاية كلها.

- نعم، أتذكر ذلك الأمر، يومها علمنا أن أحد مساعدي الخباز كان يعمل لصًا ويقوم بخطف الأطفال حتى يكونوا عبيدًا أو محاربين لدى الفرس.

ابتسم الرجل وقال متذكرًا تلك الليالي:

- أتذكر ما حدث يومها؟!

كاو وهو يتذكر أيضًا تلك اللحظات الحرجة:

- نعم، علمنا أن ابنك داخل قفص تجره أحصنة الفرس، كان موكبًا مهيبًا يمتلئ بالأطفال الأسرى، قمت أنا والعقارب الأخرى بالانقضاض على الموكب وقتلنا قرابة العشرين من جنود الفرس، والآن ما الذي يجعلك تبكي من جديد أيها الرجل؟

- الحدث يكرر نفسه.

صعق كاو وقال في غضب:

- هل فقد ابنك من جديد؟!

الرجل معدلًا كلماته:

- ثلاثة يا رجل، أنا فقدت ثلاثة من أبنائي، ولكن العجيب أنني حصلت على ثلاثة آخرين.

كان العقرب لا يفهم كلمات الرجل لوهلة حسبه جنَّ جنونه فشاهد الرجل تلك الكلمات ونظرات الريبة في عيني كاو فقال محاولًا تبسيط الأمر أكثر.

- كانت ليلة تمتلئ بالأمطار والرعد والخوف، يومها كنت عائدًا من السفر، أنا وزوجتي وأبنائي الثلاثة، كان الرضيع يبكي بحُرقة وخوف كلما ضرب السماء البرق والصغار ينتفضون بردًا وذعرًا.

بدأ الرجل يبكي وهو يتذكر تلك اللحظات المخيفة من حياته فاقترب منه كاو وقال محاولًا التخفيف عنه:

- لا تقلق، مهما حدث سنجد له حلًّا كما فعلناها من قبل.

- لا يا سيدي، لا لا، الأمر مختلف هذه المرة، أنت لا تفهم، حسنًا سأخبرك في لحظة تعيسة حدث تسارع شديد في الرياح، كانت الأشجار تُقتلَع من أماكنها يا رجل، وفجأة طارت زوجتي وأبنائي من قوة الرياح، وزني ساعدَني على الثبات في الأرض نوعًا ما بعدما تمسكت جيدًا في شجرة تجاوَزَ عمرها ألف خريف، وحينما هدأت الأمور تحركت ناحية زوجتي، ولكنَّ الصدمة يا أخي

حينما لم أجد أبنائي، بل وجدت ثلاثة آخرين.

لم يفهم كاو كلمات الرجل؛ فظل ينظر إلى الرجل منتظرًا توضيحًا أكثر، فقال الرجل بإصرار واختصار:

- يا رجل قوة الرياح جعلت أطفالي الثلاثة يختفون، وأحضرت لي ثلاثة آخرين.. أنا في بيتي الآن ثلاثة أطفال لا أعلم من يكونون. بالإضافة أنهم لا يتحدثون نفس لغتنا، لا أعلم أي لغة تلك، أنا تاجر وسافرت إلى أمم كثيرة، لم أسمع تلك الكلمات من قبل لا أفهمهم ولا يفهمون كلماتي، كما أنهم يمتلكون أشياء غريبة معهم وملابسهم عجيبة كأنهم آلهة أو أبناء الآلهة لا أعلم يا كاو لا أعلم، ولكن الأمر مخيف.. كل ليلة أشعر أن الآلهة ستأتي حتى تبحث عن أبنائها وسوف تدمر حياتي حينما تعلم أنهم يعيشون في داري، إنه الجحيم.

ثم شرع في البكاء من جديد:

- زوجتي يجن جنونها يا رجل، يجب أن تساعدني، اسأل الآلهة كلها أين أبنائي بحق الجحيم؟!

لم يكن كاو يمتلك الوقت الكافي الآن من أجل مساعدة الرجل؛ فقدَّم اعتذاره ووعده أنه سوف يعود إليه في أقرب وقت ممكن، وواصل طريقه.

بعدما نجح كاو في الوصول إلى الطبيب والحكيم شديد، كان الأخير في أربعينيات عمره مع أن كاو توقع تقدُّمه في العمر أكثر من ذلك، في البداية ظن شديد أن كاو قادم له في استشارة طبية، ولكنه سرعان ما تدارك أن الأمر خلاف ذلك تمامًا.

- ما رأيك أن نختصر الأمر وندخل في صلب الموضوع، ماذا تريد منِّي؟!

ابتسم كاو حينها وأجاب الرجل:

- بالتأكيد أنك سمعت عن تلك الأسرة التي لقيت مصرعها ذبحًا في ذلك البيت، البيت ذي الكتابات القديمة غير المفهومة والواضحة، البيت الملعون يا أخي!

ظل الطبيب ينظر إلى كاو لحظات وهو يفكر في الإجابة والرد ولكنه لم يجد سببًا واضحًا يجعله يخفي حقائق ذلك الأمر.

- نعم، الكل يعلم ما حدث هناك.

أومأ كاو وأردف:

- ولكن كلانا فقط من يعلم أن تلك السيدة وأطفالها كانوا عندك قبل مقتلهم بساعات، الأسرة كانت مريضة

جدًّا ووجدنا هناك بعض الأعشاب الطبية والتي لا يمكن أن يحصلوا عليها سوى من رجل حكيم طبيب يساعد المساكين المتألمين.

لم يبالِ الحكيم بكلمات العقرب وقال بعدم اهتمام:

- وهل تظن أنني أتذكَّر كل من رأيتهم يومًا من مرضى!، هل أنت أحمق إلى هذه الدرجة ولو بالفعل أتذكر الأمر ما علاقة ما حدثَ لهم بي؟!

ظلَّ كاو يتحرك في المكان يتأمل كل شيء من حوله، يحاول فهم ذلك الرجل والتعرف على شخصيته، كان المكان ممتلئًا بالأعشاب والسوائل الغريبة والأبخرة وبعد فترة انتظرها الحكيم، قال العقرب:

- بالتأكيد الأمر ليس له علاقة بك حتى الآن، ولكنني لم أكتفِ بالبحث عند تلك الأسرة، بل ذهبت إلى البيت الآخر، البيت الملعون الثاني والذي أيضًا لقي كل ما فيه مصرعهم في نفس الأجواء المرعبة الظلامية المخيفة، وأيضًا كان لدى تلك الأسرة المسكينة، الأعشاب الخاصة بك.

هنا بدأت تتغير ملامح الرجل قليلًا، شعر بالارتباك، ولاحظ كاو ذلك الأمر، قال الحكيم بلسان مرتعش بعض الشيء:

- أخي، هؤلاء لم يكونوا مرضى بل ملعونين، نقبوا عن بيوت مدفونة كان المفترض أن تظل هكذا إلى الأبد، ألم تسأل نفسك ما الذي يجعل قرية بأكملها تتوارى تحت التراب؟!، أليس غريبًا أن يأتي أحدهم مدعيًا أنه شاهد الآلهة تأمره باسترجاع تلك البيوت من تحت الأنقاض، أخي، أنت لا تعلم أي شيء على الإطلاق، طالما العقارب كانت لا تفكر في أي شيء، لا تعرف سوى سفك الدماء، لا تحلل كثيرًا في تلك القضايا الغامضة؛ لأنك لست مؤهلًا لذلك الأمر.

جلس كاو أمام الحكيم واقترب منه بشدة ونظر في عينيه:

- ومَن يكون أهلًا لتحليل تلك القضايا برأيك؟!، أنت مثلًا؟!

تراجع الحكيم إلى الخلف قليلًا وقال بلسان خائف هذه المرة:

- ما تريد مني؟!

أجابه كاو باستفاضة:

- أنت مُحق في حديثك، محتمل أنني لست في ذكائك، ومحتمل أيضًا أن العقارب لا تجيد سوى القتل والتعذيب،

ما رأيك أن أستخدم قوتي حتى أجبرك على الحديث وإخباري بكل ما تعلمه عن تلك البيوت والكتابات الغامضة والأسرة القتيلة وكل شيء.

نهض الحكيم من مكانه وصرخ:

- ارحل من هنا أيها العقرب، واتركني لحالي، أنا أريد العيش في سلام فقط.

بنفس النبرة الهادئة قال العقرب:

- ولكنك تسببت في مقتل أسرتين.

- لم أقتل أحدًا.

صمت العقرب ثواني ثم ردَّ:

- محتمل رأيت أو علمت بموتهم وظللت صامتًا، وهذا يجعلك شريكًا.

بدأ الحكيم في الانهيار قليلًا:

- هل كنت تظن أنه بإمكاني الوقوف أمامهم، قبل زمنٍ بعيد اجتاح العالم طوفان، وفي تلك اللحظات الحرجة لم يكن يفكر مخلوق في إنقاذ أسرته -محتمل اللحظات الأولى- ولكن حينما يقترب الموت أكثر يعلم الإنسان أن حياته

هي الأهم..

صاح العقرب وهو يمسك الحكيم من رقبته:

- كفى أحاجي.

قال الحكيم بصوتٍ حادٍ:

- الطوفان قادم يا أخي والجليد أيضًا، محتمل أننا داخله الآن، يجب عليك العوم مع التيار حتى لا تفقد روحك وتموت في الصقيع الذي لا ينتهي، سوف تتخبط أسنانك وتنتصب شعيرات جسدك.

لم يفهم العقرب كلمات الرجل من جديد فصاح مرة أخيرة:

- لماذا تم قتل هؤلاء؟!، أريد إجابة واضحة ومختصرة..

- حسنًا، حسنًا كل ما أعلمه أنه يتم التخلص من هؤلاء حتى يتم إقناع الجميع أن ما يحدث في بيوتهم لعنة..

كانت الإجابة صاعقة للعقرب فهمهم:

- لا أفهم.

- هناك من يهتم بتلك الكتابات يا أخي، هناك من يعلم

أهميتها كأنها تقوده لشيء ما عظيم.. كنز مثلًا أو كيان شيطاني هائل، لا أعلم تحديدًا، ولكن مؤكد أنها تقود إلى شيءٍ ما هامٍّ.

ترك العقرب الرجل وشرع في الرحيل بعدما أخبره الحكيم كل ما يعلمه لكن الأخير قال محذِّرًا:

- أيها العقرب، أنصحك بالابتعاد عن ذلك الأمر، تلك الحكاية مخيفة وممتلئة بالكثير من التفاصيل المرعبة، وإن أكلك الفضول حينها يجب أن ترحل من تلك القرية حتى لا تفقد حياتك وحياة كل من تهتم لأمره!، كن مثلي وعش حياتك وحيدًا، كنت فضوليًّا ذات يوم وكاد الفضول يسحقني، الناجي من الغرق يخشى الماء إلى الأبد.

- قد تنجو من طوفان وتغرقك قطرة ماء يا أخي.

***

توقفت مريم عن سرد الأحداث، وظللت أنا شارد الذهن قليلًا أفكر في حكاية الرجل والثلاثة أطفال الضائعين مألوفة جدًّا لي، وكيف لا تكون وأنا أعلم أبناء الرجل بل ورأيتهم واحتمال أن يكون تبادلنا بضع كلمات سويًّا، يا إلهي أشعر أنني بدأت أفهم سبب قدومي إلى تلك الجلسة، ولكن دعنا نكمل ذلك في الخميس القادم..

عابد أديب عابد

نُشِرَت هذه الكلمات على مدوَّنة الروحاني

الخميس الثالث من أبريل ٢٠٢١

***

أعتذر عن نشر الحلقة الجديدة هذا اليوم

أشعر بالإعياء الشديد، واضح أن الوباء يتخذ من صدري موطنًا له، يا رب خفف آلامي، ادعُ لي بالرحمة والسلام.

عابد أديب عابد

نُشِرَت هذه الكلمات على مدوَّنة الروحاني

الخميس الرابع من أبريل ٢٠٢١

مرت أسابيع أخرى ولم ينشر المؤلف المدعو عابد أديب عابد كلمة جديدة، والكثير يتساءل في التعليقات عما حدث له، وظهرت بعض الشائعات عن هزيمة عابد أمام المرض الوبائي، والبعض بدأ يطلب مني أن أكمل الحكاية بما أنني كنت حاضرًا الأحداث، ولكن أنا أنكر الأمر بالكامل وأعلَن كذب عابد أديب وأنكر معرفتي به وأنني لم أحضر أي جلسات مع القاتلة قبل إعدامها، وأنه مستحيل أن أقتحم أسوار السجن في ظلمة الليل، وأنني أحترم القانون وسيادته وأحرص دومًا على عدم مخالفته، ومن جانب آخر أحث على ضرورة تحقيق قوات الأمن مع عابد أديب لما يبثه في المجتمع من أكاذيب وإثارة البلبلة للرأي العام، حفظنا الله وكفانا شرَّ الأوبئة وموت الغفلة..

نورا لدين

نُشِرَت هذه الكلمات على الصفحة الرسمية للمؤلف

منتصف مايو ٢٠٢١

***

أخبرتك أن الجسد دُمية الروح.. ولكنك لا تَنصِت!

الحلقة الثالثة: ثلاثة أبناء ضائعين

أعتذر عن التأخير بسبب مرضي، واضح أنه لا مفر من الجائحة إلى الأبد، زار الوباء بيتي ويا ليته نجح وزفر بي، ولكن لم يحدث وتلاشى المرض من جسدي بعد فترة طويلة من الإعياء الشديد والانعزال المنزلي ولكنه على أي حال خميس جديد وفصل آخر في الحكاية.

توقفت مريم عن سرد حكايتها حتى تشرب كوب آخر من المياه، نور الدين يأكلها بعينيه أكلًا، تلك الوشوم تضفي على جسدها جاذبية غير معهودة، أي حبل مشنقة سيقوى على تهشيم عظام تلك الجميلة، أي أرواح أزهقتها تلك البريئة، لم تكن ضعيفة، بل قوية، نظراتها حادة، تتعامل مع الأحداث كأنها من دبرت كل شيء منذ الحظة الأولى، تلك السيدة إما شديدة البراعة أو شديدة الغباء، أما عن كلماتها وحكايتها وأحداثها كانت مشاعري مختلفة كثيرًا عن السابق، لم أعد أتجاهل الأمر ولا أظن أن نور الدين أصبح تركيزه على الإعدام وجذب الأضواء له وتلك الأشياء السابقة. صرت بطريقةٍ ما مؤمنًا بكلمات القاتلة؛ أن كل شيء متصل ببعضه البعض بطريقة ما، بدأت أصدِّق حديثها أنها هنا لأنها علمت أكثر من اللازم،

قامت بربط الأحداث ببعضها أكثر مما يجب، كأن الحياة تشترط علينا غموضها وأي محاولة للعبث في رغبتها لا مصير سوى الموت لا مصير سوى الإعدام.

نجحت مريم بشكل قطعي في جذب اهتمامنا جيدًا، وصارت حكاية كاو مثيرة، رغم أننا لا نعلم كيف سيتم ربطها بما يحدث الآن، ولكن أكثر ما كان يشغلني ذلك الرجل الذي قابله كاو في طريقه للطبيب، ذات الغريب الذي فقدَ أطفاله بل وتبدَّلوا بآخرين في ظروف غامضة، لا أعلم إن كانت مريم ستتحدث عن ذلك الأمر من جديد أم هي مجرد حكاية عابرة، خشيت أن أنغمس أكثر في حكايتها وأنسى التساؤل عن تلك الحكاية وتفاصيلها. أخذ نور الدين يعرض أسئلة لا أذكرها الآن وهي تردّ عليه بشكل محدود قدر الإمكان، تحاول الا تكشف عن أسرارها طوال الوقت حتى لا ينكسر فضولنا ونرحل، جميعنا نعلم الآن أن سلاح مريم الوحيد لبقائنا هو أن تدفع فضولنا إلى الحد الأقصى وأخشى أنها ناجحة جدًّا في ذلك الأمر حتى الآن. يا ترى إلى أين ستأخذنا؟!

سألتني بعدما طال صمتي وتفكيري:

- هناك ما يشغل بالك، أرى ذلك بوضوح شديد في عينيك، أنت شارد الذهن جدًّا، لقد بدأت تفهم ما يحدث من حولك، أنت الآن بدأت تشعر أنك المحرِّك الوحيد لتلك الأحداث.

لم يرد نور الدين، ولكنني شعرت بسخريته أو غيرته لا أعلم، تجاهلت وفكرت لحظات ثم أجبتُها:

- أخشى أن ما يشغلني غريب بعض الشيء، حكايتك مثيرة بكل تأكيد وأنا أهتم بأمرها جدًّا، ولكن هناك حدث جانبي في تلك الحكاية أشعر أنني مرتبط به بشكل أو بآخر.. أو محتمل أنني أهذي لا أعلم..

نظر لي نور الدين بفضول وتساؤل:

- وما هو شاغل عقلك أيها الوسيم؟!، أي أحداث جانبية تتلاعب في عقلك الضئيل.

تجاهلت سخريته وسبابه وقلت بتركيزٍ وحذرٍ شديدين حتى لا يتهمني أحدٌ بالجنون، خاصةً ذلك المختل ابن الظلام الأحمق.

- ذلك الرجل الذي تقابَل كاو معه في السوق وتحدثا، أمرٌ غريبٌ، ذلك الرجل الذي فقدَ أبناءه وحل مكانهم ثلاثة آخرين.

مريم تعجبت من كلماتي، كانت المرة الأولى التي أشعر فيها أن تلك السيدة لا تتوقع إجابتي، كنت اقتربت من اليقين من كونها تطلع وتقرأ أفكار العقول:

- أبناء الرجل الضائعون كانت أسماؤهم: حابي وتيتي وكاترينا.

لم يفهم الصحفي كلماتي، وحاول التقليل من شأن حديثي وتساءل بنوع من السخرية:

- هل قرأت تلك الحكاية على الشبكة العنكبوتية؟!، لأنها مشهورة وأنا قرأتها عدة مرات..

حينما نظرت له وبعصبية شديدة:

- لا، لم أقرأ ذلك على الإنترنت، وتلك القصة ليس لها وجود على الشبكة العنكبوتية، مُحتمَل أن الأوهام التي تراها من حين لآخر هي ما أخبرك ذلك.. أنصحك بأن تأخذ أدويتك يا نور الدين حتى لا تتفاقم حالتك أكثر.

شرد ذهني وأنا أتذكر الكثير من ذكريات الماضي، ذكريات مؤلمة لم أنسَها لحظة، ولم أكن أتوقع أن يفتح مجالاً جديدًا للحديث في تلك الأمور، هنا كان يقينًا بالنسبة لي أن وجودي هنا ليس بصدفة، وأن الأقدار تلعب دورًا مميزًا ومثيرًا للاهتمام الآن، ولكنني لا أفهمه بعد. كان نور الدين ومريم ينتظران إجابة توضيحية مني.

- أخشى أيضًا أنني أعلم مَن هم الأطفال الذين ظهروا في الماضي، ومحتمل أنني أعلم تفاصيل عدة، الكل يتجاهلها،

أنا قابلتهم وتحدثت معهم وجهًا لوجه، يا إلهي هذا جنون!

كلمات كانت صاعقة على وجه نور الدين، وكذلك مريم كانت تحاول جاهدة إخفاء ملامحها المندهشة، قالت الأخيرة باهتمام شديد:

- هذا مثيرٌ للغاية، ما رأيك أن تحكي لنا قصتك الآن، أنا أحتاج إلى الراحة والتذكر.

صمتُّ وحاولت التفكير في الأمر، شعرت أن سرد الحكايات ليس بالأمر اليسير خاصة أن تلك الحكاية تحمل لي في طياتها الكثير من المشاعر المؤلمة والعديد من الخسائر، قطع نور الدين الصمت وباندفاع شديد كارهًا أن يأخذ أحدٌ منه دفة الحديث والمحاورة والضوء.

- أعتقد أننا لا نمتلك الوقت لذلك، نحن هنا من أجلكِ، لا تنسي أنها آخر فرصة لكِ للحديث مع البشر.

ظللتُ صامتًا واعتبرها إشارة حتى ألتزم الصمت ولكن مريم بإصرارٍ شديدٍ:

- بل نمتلك، نمتلك ما نشاء يا ابن الظلام، تحدَّث يا عابد، تحدث وأخبرني كل شيء.

عاد نور الدين بصوته الحاد الغيور الحاقد:

- أنا جئت حتى أسمع حكايتك وليست حكاية ذلك الرجل المختل، حتى إنني لا أعلم لماذا كان هناك إصرار من جانبك من أجل حضوره تلك الجلسة، أنا متأكد أنه لا علاقة لكِ بالأمر، ومؤكد أنه دفع رشوة إلى أحد عساكر ذلك السجن حتى يأتي ويجلس ويتكلم ومن ثم أذكره في مقالي وأسلط عليه الأضواء، ولكن هيهات أن يحدث ذلك.

لم أستطع كتم غضبي هذه المرة، ولم أتحمل كلماته الهجومية السيئة:

- أي أضواء أيها الغبي، هل تظن أن الكل مريض بنقص الاهتمام مثلك، طبيعي أنك تحتاج إلى الشهرة حتى تخبرك بكم أنت ناجح ومؤثر لأنك لا تثق فيما تفعل، أتذكر جيدًا رحيل زوجتك عنك وحديثها عبر وسائل التواصل الاجتماعي عن كونك مجنونًا مختلًا وتحاول تسخير كائنات من عالم الظلام، أتذكَّر أيضًا وصفَها لك بكونك الكافر الملحد الشيطان والملعون.

نهض نور الدين وكاد أن يهبط بلكمة على وجهي، ولكن تدخلت مريم في الحال وأمسكت يده وبصوت حاد:

- كفى عند ذلك الحد.. كفى حتى لا يتلاشى السلام من جلستنا ويعم الموت بتلك الجلسة.

لم أفهم الجملة الأخيرة للقاتلة، ولكن نور الدين كانت له نظرية وفهم الأمر كأنه نوع من التهديد له وبسخرية:

- بل سوف يعم الموت المكان ويموت أحدنا.

كان يقصد إعدامها الذي يوشك على الحدوث، كان قاسيًا جدًّا في تلك اللحظات، شعرت بغضب كبير منه ولكن القاتلة قالت:

- لن يموت أحد في تلك الليلة، ثق في!

اقتربت مريم من نور الدين ونظرت في قلب عينيه وربتت على فخذيه وهمهمت:

- لا تتعجل كل شيء، كل ما يقال يكمل بعضه البعض، اهدأ وهذا تحذيرك الأخير!

نظر لي كأنه في حالة من النوم المغناطيسي:

- حسنًا، هيَّا احكِ.. أخبرنا قصتك مع المسافرين عبر الأزمان..

علمت من كلماته الساخرة أنه في كامل وعيه فتنهدت بهدوء أفكر في نقطة بداية لحكايتي، ثم بدأت في سرد حكايتي:

- حدثت تلك الأمور قبل اثني عشر عامًا.

***

لست في حاجة لذِكر أن العودة في الماضي اثنتي عشرة سنة ليس بالأمر الهين، كنت صبيًا لا أختلف كثيرًا عن أقراني وزملائي، فلم أصطنع عظمة لم تكن لي، أنا طفل بسيط لا هوايات له سوى ألعاب الفيديو وقليل من القراءة لروايات الجيب ومحتمَل لي ثلاثة أو أربعة زملاء دراسة نذهب للتنزه من وقتٍ لآخر، وأخيرًا بعض الصفات التي رزقني الله بها هي موروثة بعض الشيء من والدي، كل ما أجيد فعله الآن هو نقطة في بحر عِلمه وقدراته، لا أعلم مصدر قدراتنا ولكن أعتبرها هبة من الله ولم أحاول البحث طويلًا عن مصدرها، كأنني أخشى معرفة الحقيقة، فدائمًا أبي يساعد الناس بمقابل مادي في الحصول على بعض الكرامات ويخدمهم بدون أي إلحاق أذى ببشر، كان يرسّخ قدراته في الحماية وخدمة الناس وليس الاعتداء، ويؤمن إيمانًا حقًّا أنه لو قام باستخدام تلك القدرات في أذية البشر ستتلاشى من تلقاء نفسها وبشكل أو بآخر صرت أمتلك نفسك العقيدة.

لم أكن أعلم أنني أمتلك من قدرات أبي شيئًا قبل يوم وفاة أمي، رحلت الأم الغالية إلى العالم الآخر، ولكن بطريقة أو بأخرى أستطيع التواصل معها، كانت تخبرني بالكثير والكثير وأبي يخشى أنني مريض، وبعدما استبعد

الأطباء الإصابة العقلية، ولكنهم منحوني أدوية على سبيل الاحتياط، أدوية تساعدني على تخطي الصدمة ولكن أي صدمة وأمي معي أراها كل ليلة، أبي لم يقاوم طويلًا وسلم بالأمر أنني مميز مثله خاصة بعدما قامت أمي بالاعتراف بأشياء عدة حتى تمنحني اليقين بكونها هي المتحدث بنفسها وليس هلوسة من عقلي.

تطورت الأحداث سريعًا، تحول الأب إلى مدرب ومعلم، يريد أن يعلم بفضول شديد أبعَاد قدراتي، كنت أخضع لعدة تجارب، نجلس بالساعات حول طاولة تمتلئ بالشموع ويهمهم كلٌّ منَّا بصلوات من مختلف الأديان القديمة منها والحديثة، أتذكر جيدًا تلك الواقعة حينما جلست على كرسي أمامه وبقي والدي بجانبي يخبرني أن أغمض عيني، أتخيل نفسي في وسط نفق من السواد والعتمة.

- أنت في نفق طويل جدًّا مظلم يمتلئ بالوحوش والكيانات، لا تخشاهم يا بني نحن مميزون، منحنا الله قدرة هائلة على بث التوازن بين العوالم المختلفة، تحرك وسطهم بقوة وشموخ لن يقدر أحد على أذيتك بأي شكل من الأشكال.

اقترب مني أكثر ووضع يده على صدري، كان يريد متابعة سرعة دقات قلبي، يعلم أن ما أراه الآن لم يرَه أحد من قبل.. وبالفعل كنت أرى مئات الكائنات

الغريبة، كائنات حتى أعجز عن وصفها، طالما تخيلت الجان والشياطين والأشباح وغيرها من الأمور بأشكال وهيئات محددة، هيئات مقتبسة من الأفلام، ولكن الأمر مختلف، لم يكونوا على تلك الهيئة المخيفة بل على هيئة عادية ولكنها غير مريحة.. حقًّا لا أعلم كيف أصف الأمر بشكل دقيق، تحركت بينهم وأنا أرى اندهاشهم ونظراتهم، لم يصدقوا كيفية مروري في ذلك الجسر، ينظرون لي ويتهامسون عن قدرتي في رؤيتهم حتى صاح أحدهم:

- أنت ملعون!

هنا شعرت بفزعٍ شديدٍ وتسارعت دقات قلبي للحد الأقصى وصرت أجري في النفق المظلم وأنا أصرخ بقوة، أبي في الخارج يقف بجانبي ويحاول تهدئة مشاعري ويهمس في أذني أن كل شيء على ما يرام وأننا تحت حماية إلهية، ولا يمكن لأي كيان التسبُّب في الأذى لنا، ولكني خائف، كنت أجري وبدأت أشعر بأصوات تجري خلفي، كنت تحت المطاردة وفجأة همس أبي في أذني:

- تحرك إلى اليسار حالًا.

نظرت إلى اليسار، وجدت منطقة كاحلة شديد السواد، كنت لا أفهم لماذا يودُّ مني أبي الذهاب إلى هناك خاصة حينما نظرت يميني وجدت ضوءًا أبيضَ ساطعًا مريحًا

للأعين وجذابًا للغاية، ظلت عيني متعلقة به وأشعر كأن عقلي يغيب كلما تماديت في النظر إليه، ولكن أبي يتحدث من جديد:

- كفاك تطلُّع إلى الأضواء وتحرك إلى اليسار كما أخبرتك.

قلت بداخلي ولكن أبي لم يسمعني:

- لماذا لا أذهب إلى تلك الأضواء الجميلة؟

قطع الأمر ظهور أمي تقف وسط الهالة البيضاء، مبتسمة، ضاحكة، تلوح بيدها لي، تهمس بصوت منخفض ولكن صوتها يرن في أذني:

- تعالَ يا عابد، كم أشتاق إليك يا حبيبي.

نظرت لها وقُلت مخاطبًا أبي:

- إنها أمي يا أبي.. إنها أمي.

تحركت ناحية الضوء الأبيض مسلوب الإرادة فقال أبي وهو يصيح:

- تراجع حالًا، اذهب إلى اليسار أخبرتك..

ولكنني لا أنصت، وأصبحت أتحرك ناحية الضوء، كان أبي يصرخ بصوت مرتفع حتى يمنعني من ذلك، ولكنني كنت في حالة سُكْرٍ، لا أنصت، لا أسمع، لا أرى سوى تلك الأضواء وأمي وسطها.. وفجأة ركل أبي الكرسي فسقطتُ أرضًا وعدت من تلك الغفوة إلى العالم المادي وجدته خائفًا مذعورًا بجانبي.

- هل أنت بخير؟! هل أنت على ما يرام؟!

نظرت له وأجبتُه شاعرًا بحرج شديد من صيحاتي السابقة:

- أظن ذلك، ولكنني مستعدٌّ دخول النفق المظلم من جديد.

أبي بحزن وغضب أخبرني:

- أنا كنت مخطئًا، أنت لست مستعدًا لذلك الأمر بَعد.

كانت نظرته تمتلئ بالشفقة على حالي فلم أتحمل ذلك:

- لا يا أبي لا تقل ذلك، أنا مستعد.

ردَّ أبي من جديد بصوته الحزين ذاته:

- أخبرتك، انسَ ذلك الأمر الآن، لم يحن وقتك بعد.

***

انتفض جسدي وأنا أتذكر أمي وشعرت بكَمّ الإحباط الذي حل عليها حينما استعدت كي تأخذني بين ذراعيها قبل أن ينتزعني أبي، قال نور الدين لي مقاطعًا حبل أفكاري:

- كنت تشعر أن أباك يراك ضعيفًا هزيلًا لا تقوى على مقاومة الإغراءات، لا ألوم والدك، كل شيء واضح في عينيك.

مريم مقاطعة كلمات نور الدين السخيفة:

- والدك في تلك الحقبة الزمنية يكن لك الحب والاحترام صدقني، كان يريد سلامتك أولًا، ولكن دوام الحال محال يا صديقي الصغير، أنا لي حكاية مماثلة بعض الشيء، ولكن محتمل أن أخبرك بها في نهاية تلك الجلسة والآن أكمل حديثك، أنا متحمسة لمعرفة باقي الحكاية من وجهة نظرك.

لم أرد عليهم ولم أجادلهم في أفكارهم، ولكنني نفذت كلمات مريم في الحال وشرعت في استئناف حكايتي:

بعد شهرين من تلك الواقعة تواصَل مع أبي أحد أصدقاء

رجل الأعمال الراحل (مازن الحسيني)، أخبر الرجل أبي أنه يريده في عمل مقابل سخاء مادي غير طبيعي، كلنا نعلم أن كل أعمال الرجل كانت غطاء على تجارته في الآثار فسريعًا فهم أبي الأمر، وعلم أن ابن الحسيني وأصدقاءه يريدون مساعدة أبي في معرفة مكان مقبرة ما أو فك الرصد عن إحداها، كان تحديًا صعبًا، خاصة أن أبي له منطق في كل شيء، كان أبي رجلًا جيدًا ويحب الله ويخشاه، ولكن من قال إن التنقيب عن كنوز القدماء حرام، من يجد شيئًا هو حقه وليس من حق الحكومة أن تسلب ذلك الكنز من أحدٍ، مازن وغيره يبحثون وينقبون سنوات وسنوات حتى يجدون مقبرة ما وهناك مجانين حول العالم تهتم بتلك الأمور وتدفع المليارات مقابلها، ما المانع من بيعها، حسنًا هذه ليست عقيدتي، ولكن أبي كان مؤمنًا بذلك بشدة وتلك القناعة والإيمان لم يجعلاه يفكر طويلًا خاصة أنه لن يخالف القانون بقدر كبير، هو فقط سيخبرهم موضع المقبرة ويرحل سريعًا ومعه حقيبة تمتلئ بالأموال الخضراء.

نجح أبي بسهولة للتوصل إلى مكان تلك المقبرة، وأخذ يتقرب رويدًا رويدًا من ذوات النفوذ وذيع صيته في كل مكان، حاول بعض الرجال المتميزين في منح أبي هدية ألا وهي الوصول إلى شاشات التليفزيون من خلال برامج تفسير الأحلام، ولكن الوالد رفض ذلك، شعر أن تلك العملية والظهور سيقللان من شأنه، قرارات أبي كانت تثير إعجاب رجال الأعمال الفاسدة جيدًا، ذات اليوم

أخبر مازن الحسيني أبي أن هناك صديقًا آخر يريد مقابلة أبي، أخبره أنه رجل ذو شأن عظيم ومكانة مرموقة، ومع محاولة الأخير لمعرفة المزيد من المعلومات، ولكن مازن كان مختصرًا بشكل غير طبيعي، يومها تحدَّث أبي معي قائلًا:

- أعتقد أننا سوف نبدأ خطوة جديدة في مشوارنا، ذلك الرجل المهم محتمل أن يغير حياتنا، حدس ما يخاطبني أن ذلك الرجل هو أحد رؤساء مازن نفسه، أعتقد أننا سنقتحم أسياد العالم.

حينذاك كنت في الحادية والعشرين من عمري ولست ناضجًا مثل الآن، ولكنني وقتها كنت أمتلك قليلًا من الخبرة والفطرة حتى أشعر بخطورة ما يحدث.

أشعر أننا نخالف القانون، لو ساءت الأمور هنا سوف يضحون بك. أبي، أرجوك لا تمزق ضميرك حتى يتناسب معهم!

يومها اقترب أبي مني وبإصرارٍ شديدٍ:

- هؤلاء هم القانون يا بني، هؤلاء كل شيء، أتعلم أن مازن ورفاقه أعضاء لدى إحدى الجماعات الخطيرة، جماعة أنخ حيث الاغتيالات السياسية والتنقيب عن الآثار وتجارة الأعضاء والأطفال، هؤلاء القوم بدأوا مع

بداية التاريخ يا بني، ودومًا كانوا حاضرين في كل حقبة زمنية رغم عدم ذِكر التاريخ ذلك، كان الاختفاء براعتهم، والموت مصير كل إنسان يكشف أمرهم.. أنا أخبرك بكل هذا الآن حتى تعلم ما نحن مقدمون عليه، أخبرك حتى تتحلى بالسرية المطلقة، إياك أن تخبر أحدًا عما سوف يحدث الأيام القادمة.

يومها تعجبت كثيرًا أنني سأكون جزءًا من الطقوس وتساءلت في دهشة:

- هل سأذهب معك؟!

أجابني بسعادة وثقة:

- يجب أن تفعل يا بني، فَمَن يعش في خوف لن يتحرر أبدًا، يومًا ما سأموت، ويجب أن تكون على علم بكل الناس، هذا هو مستقبلك، أنا أفعل هذا من أجلك.. أرجوك يا بني كن على قدر الأمر، لا تخذلني أبدًا.

أصر على أن أذهب معه ذلك اللقاء المثير بينهم، حاولت مقاومة رغبته ولكن هيهات أن ينصت لي.

حضر الجلسة معنا رجل مميز للغاية أشيب الشعر، ولكنني لن أذكر اسمه الآن بسبب وجود صحفي معنا عاشق للأضواء وذلك الرجل على قيد الحياة وله عددٌ هائلٌ من النفوذ

ومكانة اجتماعية لا تُصدَّق، لم أكن أتخيل أنني أمامه، كان الأمر مرعبًا حقًّا يا رفاق في تلك اللحظات ولكن...

قال نور الدين مقاطعًا حديثي وحكايتي:

- أنت ثقيل الظل، وأنا لا أحبك، وتتحدث طويلًا، ووصفك مبالغ فيه والكل يعلم هنا إلى أين ستذهب هذه القصة.

لم أغضب هذه المرة من كلماته بل كنت سعيدًا لغضبه فقلت له مازحًا:

- المشاعر ذاتها يا صديقي، بالإضافة إلى أنك سمين وسخيف ورائحتك سيئة.

ردَّت مريم بملل وهي توجِّه كلماتها لي:

- يجب أن تكمل يا عابد، أشعر أن قصتك حماسية للغاية، وأخشى أنني غير الصحفي، لا أعلم إلى أين ستذهب تلك الأحداث..

أومأت وأكملت حديثي.. لم يكن الرجل المميز وحيدًا بل كان لديه على الجانبين عدد قليل من رجاله، ثلاثة أو أربعة على ما أذكر، ومعهم سيدة ملامحها غارقة في الطبقة الأرستقراطية ولا تكف عن الظهور على شاشات التلفاز

وهي تحدث الجميع عن العلم والعمل والفقر والجوع، وأيضًا لن أذكر أي معلومات عنها، أشار الرجل المميز إلى السيدة وقال مخاطبًا أبي:

- إنها زوجتي، وأنتم هنا من أجلها، فقدت شيئًا ثمينًا وأعتقد حسبما سمعت من مازن الحسيني أنكم متميزون في تلك الأمور.. أمور الشعوذة.

نظر أبي إلى السيدة وقال بصوت ممتلئ بالخضوع والتبجيل:

- نحن في خدمتك يا سيدتي، ولكن ما نقوم به ليس شعوذة ولا سحرًا، إنه كرامة من الخالق الجليل ولم نستعملها طوال حياتنا في الأذى.

ردَّ الرجل بغضب واختصار:

- لا أهتم، المهم أن نجد ذلك العقد اللعين!

أعتقد أن السيدة لم تكن تهتم بكلماتنا وكانت تشك بعض الشيء في قدراتنا، وذلك بدا في كلماتها ونبرة صوتها:

- سنرى الكرامات أو أيًّا كان اسمها، حسنًا.. أنا كما قال زوجي العزيز الغاضب فقدتُ عقد من الألماس الحُر بل وليس مجرد ماس بل إن له تاريخ طويل جدًّا فلم يلتف

سوى حول رقاب العظماء، الأميرة ديانا ومن قبلها شجرة الدر وقبلهم كليوباترا ملكة مصر.

كانت نظرات السيدة وكلماتها يبثون داخلي كمًّا هائلًا من المشاعر السلبية صوتها مزعج ونظرتها تمتلئ بالتعالي والغرور، لم تكن هيئتها ونبرتها كما تظهر على الشاشات، أذكرها جيدًا وهي تبكي ذات ليلة على موت الغارقين من عبَّارة السلام فلم أتحمل الأمر وكنت حينها صغير السن بشكل كافٍ.

- نحن لسنا سحرة ولا مشعوذين حتى نأتي بالأشياء الضائعة بل نحن لنا قدرات خاصة في التواصل مع البشر سواء كانوا أحياء أو في مكان آخر.

نظرت السيدة إلى زوجها بينما قطع أبي الصمت ونظر لي بغضب:

- محتمل أنك لا تستطع فعلها يا بُني لصغر سنك.

ثم نظر إلى السيدة وزوجها:

- أنا قادرٌ على فِعل أي شيء، وطالما الأمر يتعلق بالملكة كليوباترا والأميرة ديانا ومن ثم حضرتك إذًا فإن الأمر هام بل هو الأهم بالنسبة لنا.

في تلك الأثناء لم أكن أعلم هل أبي محق أم يدعي ذلك،

ولكنني أعلم جيدًا أبي أكثر ذكاءً بكثير من ادعاء قدرة لا يملكها، ولكن السيدة صاحت بنا وقالت بصوت شديدة الحدة:

- أنا لا أهتم بذلك العقد اللعين، ليس الوحيد في جعبتي له تاريخ طويل، أنا فقط أريد أن أعلم من هو الذي تجرأ وسلب مني شيئًا يخصني، أريد فقط أن أعلم من هو الفاعل، هل هذا أمر تستطيعون فعله أم تذهبون إلى الخارج حالًا؟

أومأ أبي في تفهم ثم نظر لي لحظات وبعدها قال:

- يجب أن يكون هناك مشتبه بهم، أنا فقط قادر على تحديد الجاني من مجموعة يشتبه فيهم هذا الفعل الشنيع.

أشارت السيدة إلى أحد الرجال الواقفين على جانبي زوجها.

- ائتِ بهم في الحال، جميعهم.

توقعت -وأنا مُحِقٌّ في ظني- أن الرجل يذهب إلى الخارج وسيأتي بجميع مَن يعمل في ذلك القصر ولكنني لم أتوقع حقًا أن يأتي أيضًا بأبناء الرجل المميز الثلاثة، كانوا بنتًا وصبيين في منتصف العقد الثاني من العمر عدا صبيًّا كان في التاسعة أو السابعة لا أعلم، غضب الرجل المميز كثيرًا

من وجود أطفاله في مشهد كهذا وأمرَ رجاله:

- هل جننت؟!، قلنا الخدم فقط!

قالت السيدة مدافعة عن الأمر:

- أنا مَن أخبرته بأن يأتي بأبنائك، الكل سيخضع لذلك الفحص حتى أنت وأنا، الجميع!

غضب الرجل كثيرًا ورفض الأمر بشدة ولكن السيدة قالت:

- إما أن تفعل ذلك، أو أرحل أنا من هنا إلى الأبد، الخيار خيارك!

- تبًا لكِ.

لم ترد السيدة وتجاهلت سُبَّتَه ونظرت لنا:

- هيَّا، قوموا بالأمر.

طقوس أبي كانت مختلفة هذه المرة، كان يتمتم بكلمات لم أسمعها منه قبل ذلك، كنت أشعر بخطورة ما يحدث، قلبي يحدِّثني عن كارثة على وَشْكِ الحدوث، غابت عيون أبي وتلاشى البياض منها، أمسك يدي وقبضَ عليها بقوة وهو يشهق بصوت مرتفع مخيف كأنه يرى الشيطان ذاته،

رأسه تتحرك بسرعة ناحية كل فردٍ متواجد داخل الغرفة، أخذ أبي يتجاهل الخدم ورأسُه تركِّز مع الأبناء الثلاثة، كنت أخشى أن يجعل من هؤلاء الأطفال لصوصًا فيغضب منَّا ذلك الرجل المميز ويطاردنا طوال حياته، كنت أريد أن أنتزع أبي من تلك الحالة قبل أن تحدث الكارثة ولكن... قاطعني نور الدين بملل ومحاولة توقع ما سوف يحدث:

- بالتأكيد الأبناء الثلاثة هم اللصوص، كل كلماتك وأحداثك متوقعة جدًّا يا عابد، كنت أعلم، كنت محقًا في شأنك، أنت ممل.

ظلت مريم تنظر لي ولم تقل شيئًا فقلت بدون أن أنظر إلى نور الدين:

- بل حدث ما هو أسوأ من ذلك بكثير..

نظر لي نور الدين وقال مصعوقًا:

- لا تقل إن هؤلاء الثلاثة...

- نعم، اختفوا وجاء ثلاثة آخرون.

ثم أشرت إلى مريم قائلة:

- ثلاثة يرتدون ملابس قديمة من الكتان ملابس فرعونية قديمة...

- يا إلهي!

صمتت لحظات ثم أردفت:

- حسنًا، أنا أعلم أن كل شيء متصل ببعضه البعض، ولكن لم أتوقع ذلك حقًّا.

ساد الهدوء بعض الوقت ثم بدأت استئناف ذكرياتي، حينذاك كانت المشاعر ملتهبة والقلوب ترتجف، انطلقت صيحات وصراخ وعويل، المشهد عبثي إلى أقصى درجة ممكنة، تبادلت النظرات بين الجميع وكانوا القادمون من الماضي في حالة من الذعر والتعجب مما حدثَ لهم، صاح رجل الأعمال بأسماء أبنائه الثلاثة وهرولت السيدة نحو الخارج في ذُعرٍ شديدٍ بينما وقف الأطفال ينظرون إلى المكان ويحاولون التعرف على الوجوه ويتطلعون إلى الملابس والطاولة والكتب، وقال أحدهم -يبدو الأكبر سنًا فيهم- بلغة أتوقع أنها اللغة المصرية القديمة، عبارات لم يفهمها أحد، ولكني وأبي توقعنا أنهم يتساءلون عن مكانهم، كاد أن يرد أبي عليهم ولكن الرجل المميَّز قطع تلك الفرصة المثالية للتواصل مع الماضي وكشف أسرارًا لم يعلمها أحدٌ من قبل وقال بصوت حاد متسائلًا عن أولاده:

- ما الذي يحدث هنا بحق الجحيم؟!، ماذا فعلتما أيها الملعونان؟!، أين أبنائي؟!

كانت السيدة تكتم ابتسامة داخلها كأنها سعيدة بالتخلص من أبناء الرجل أخيرًا، كنت أشعر بها تودُّ مكافأتنا على ذلك الخطأ غير المقصود، ولكنها قالت بصوت يصطنع الغضب:

- يبدو أن أبناءك الآن يعيشون في القصر الفرعوني!، يا إلهي كأننا في أسطورة من أساطير القدماء أو حكاية من حكايات الآلهة القديمة.

أطاح الرجل بالشموع الموضوعة على الطاولة وأشار إلى رجاله حتى يحتجزونا فاقتربوا منا وقاموا بالإمساك بنا بقوة شديدة، بينما ظل الرجل ينظر إلينا بغيظ شديد.

- يجب أن يتم إصلاح هذا حالًا، نصف ساعة وسأعود إلى هنا كي أجد هؤلاء الغرباء قد عادوا في مكانهم الصحيح وأبنائي بين يدي، نصف ساعة وإلا أقسم لكم سأقتلكم جميعًا بشكل بطيء ومؤلم جدًّا.

خرج الرجل وزوجته وبقيت مع أبي والحراس وكذلك القادمين من الماضي، كانوا يجلسون في طرف الغرفة ترتعش أجسادهم، قام أبي بإعادة الشموع من جديد على الطاولة وترتيب الأمر حتى يعقد جلسة جديدة لإصلاح

الأمر، بينما انشغلت أنا مع هؤلاء الثلاثة، فاقتربت منهم وحاولت التواصل معهم، قلت موجهًا كلماتي إلى أصغرهم:

- أنا اسمي عابد، ما اسمك؟!

اقترب الأخ الأكبر وسحب يد أخيه الصغير إلى الخلف حتى لا يتواصل معي ثم نظر لي نظرة متوعدة كأنه غاضب مما حدث، تراجعت خطوتين في حركة دفاعية وأشرت نحو صدري وقلت من جديد محاولًا تعريف نفسي لهم جميعًا:

- عابد.

ثم أشرت إلى صدر الكبير حتى ينطق اسمه فلم يفهم الأمر جيدًا فكررت الأمر مرة أخرى وأخذت أشير إلى نفسي من جديد وأقول اسمي؛ ففهموا الأمر بعد لحظات وقام كل منهم بالإشارة نحو جسده وتعريف اسمه؛ الأول يدعى حابي وهو الأكبر سنًا، أما الصغير كان يسمى تيتي وأخيرًا الفتاة كان اسمها كاترينا، ابتسمت لهم وأومأت ثم أشرت إلى أبي:

- إنه أديب.

ثم أشرت نحو صدري من جديد.

- إنه أبي!.. بابا.

قالت كاترينا وهي تشير لي:

- بابو؟!

ضحكت من طريقة نطق كلماتها وأومأت:

- نعم، إنه بابو..

ولكن تلك الأحداث لم تَدُم طويلًا، كانوا الحراس يدفعوننا إلى إقامة أي طقوس جديدة لإصلاح الأمر، وكان أبي يشعر بخوف شديد مما حدث وكنت أشعر بضعف ثقته بنفسه في تلك اللحظات كأنه لا يدرك كيفية إصلاح ذلك الأمر.

قاطعتني مريم لأول مرّة، دومًا كانت تتركني احكي باستفاضة ولا تتكلم حتى أنتهي، ولكن قالت:

- حسنًا، أظن أنني على علم بتفاصيل تلك القصة من الجانب الآخر، الجانب القديم.. شديد القِدَم.

هنا تساءلت في حماس شديد وكم أود أن تؤيد حديثي هذه المرة:

- هل تقابل كاو مع ذلك الرجل الذي فقد أبناءه من جديد؟!، أرجوك لا تقولي إجابة نفي على سؤالي، الفضول يأكلني أكلًا لمعرفة ما كان يحدث على الجانب الآخر.

نظرت لي ثم ابتسمت وأجابتني:

- رغم أنني لم أكن أنوي الحكي عن تلك الأحداث الجانبية حيث ظننت أن لا أهمية لها الآن، ولكن واضح أن كل تفصيلة مهما كانت صغيرة تساهم بشكل أو بآخر في رسم حكايتنا، حسنًا نعم يا عابد تقابل كاو مرة أخرى مع ذلك الأب المسكين، حيث قام الأخير بالتحرك خلف العقرب حتى باب الحكيم وانتظر خروجه، وحينما ظهر كاو أمام الأب من جديد بدأ حينها فصل آخر من تلك الحكاية..

صمتت لوهلة ثم بدأت سرد ذلك الجانب من الحكاية.

***

تقابل كاو مع الأب الحزين، ودار بينهما حوار جديد توسل فيه المسكين إلى العقرب حتى يأتي معه ويحاول مساعدته. وبعد محاولات كاو حتى يؤجل الأمر انهار الرجل وأخذ يبكي بحرقة فاضطر العقرب للموافقة والتحرك معه نحو بيته، لم يكن يتخيل كاو ما سوف يجده، لم يكن في العقيدة القديمة مصطلح السفر عبر الزمان، كان

العقرب يظن أن الأطفال تبدلوا بشكل خاطئ بين الأسرة التعيسة وأسرة أخرى، ولكن الأمر كان معقدًا مثلما ذكرته يا عزيزي عابد.

هناك داخل بيت الرجل، أقصد تقابل كاو مع الثلاثة أطفال بأعمارهم المختلفة، كانت لغة التواصل بين الطرفين معدومة، ولم يخطر في بال بطلنا طريقتك في التعرف على الأسماء يا بني، أقصد أن العقرب لم يتمكن حتى من معرفة أسماء الصبية، الأمر معقد أليس كذلك؟!

قال والد الأطفال الثلاثة:

- رأيت معهم أشياء غريبة، أعتقد أنها تخص الآلهة.. أشياء أو ألواح معدنية تخرج منها الأنوار، شيء مذهل..

قال كاو بفضول وهو ينظر إلى الثلاثة أطفال:

- أحضر لي هذه الأشياء.

توارى الرجل خلف ستائر بيته لحظات وبقي كاو ينظر إلى الصبية وحاول التواصل معهم من جديد، ولكن هيهات أن يحصل على معلومة مفيدة. عاد الأب ومعه ثلاثة ألواح غريبة تشع من الأضواء، ولكن تلك الأشياء في العالم القديم كانت بلا أي معنى، قال كاو:

- أنت قلت إنها تضيء، ولا أرى أمامي سوى قطعة من الخردة لا تنفع ولا ضرار منها..

قال الأب وهو يعبث بأحد الألواح:

- كانت تضيء في أول ليلة جاءوا فيها إلى عالمنا، وبعدها لم تعد تعمل كأنها ماتت وتلاشت منها الحياة!

لم يفهم كاو ما يقال فردَّ مستنكرًا:

- ما هذا العبث؟!، هؤلاء مؤكد جاءوا من بلدة أخرى لا أكثر، أنا أعتقد أنهم من اليونان محتمل، أظنني أشم البحار في ملابسهم، وتلك اللغة التي يتحدثون بها احتمال أن تكون مجرد لغة يونانية بسيطة أو لهجة عامية.

نظر الرجل إلى كاو وبيأسٍ شديدٍ:

- أنت محق!

- عذرًا يا أخي أنا بالفعل لا أمتلك حلًّا لتلك المشكلة، إنها خارج حدود قدراتي..

كاد كاو أن يرحل ولكن سقطت من جيبه المخطوطة التي نقل فيها العقرب الكتابات التي نقلها من على جدران البيوت الملعونة وهنا جرى أكبر الصبية ناحية تلك

المخطوطة وأمسك بها وقال كلمات غير مفهومة ولكن واضح أن الصبي كان يدرك المكتوب، علم كاو والأب أن الصبية من بلاد تلك اللغة المدون بها اللعنة، تحمس الأب سريعًا وقال:

- ما تلك اللغة؟!

شرح كاو الأمر باختصار:

- أخبرتك، أنهم من القدماء..

صمت كاو لحظات ثم حاول فهم كلمات الصبية، ولكنه فشل فعاد إلى الصمت من جديد وفجأة لمعت عيناه وقال:

- أظنني وجدت حلًّا لما يحدث..

تحمس الأب وتساءل بسرعة عما يملكه العقرب فردَّ الأخير:

- هؤلاء يتحدثون تلك اللغة، إذًا لو علمنا اللغة نعلم موطنها ومن ثم نعلم مكان أطفالك، ولكن المعضلة أننا نجهل ذلك اللسان.. نريد رحَّالة أو مستكشفًا سافر بلاد عديدة محتمل أن يساعدنا في ذلك الأمر..

- أعتقد أنني أعرف واحدًا لديه تلك المواصفات.

***

صمتت مريم كأنها أنهت قصتها الجانبية تلك، ولكن ذلك لم يشبع فضولي فسألتها:

- وما الذي حدث بعد ذلك؟!

فكرت مريم لحظات ثم أجابت في الحال:

- تقابَل كاو والأب مع رجل يدعى سنو، رحَّالة كما قلت لك، ولكن لم تكن المقابل ذات إفادة.. أنكر الرجل معرفته بالأمر وبتلك اللغة ولا أعلم أي معلومات إضافية عن تلك الحادثة، محتمل أنك تعلم المزيد يا عابد، محتمل أن الأب أستعاد أبناءه لاحقًا، لا أعلم.

نظرت لها ثواني وأخذت أتذكر تلك الأحداث:

- ما حدث بالنسبة لي لاحقًا كان مأساويًا، حاول أبي استرجاع الأطفال الثلاثة وبعد محاولة قوية وعنيفة نزفت فيها أنفه وعيونه، تمكَّن من استرجاع طفلين فقط ولكن بقي واحد في الماضي من حاضرنا وأصبح للرجل المميز طفل من عالم قديم بجانب ابنين من أبنائه مما يعني أن ذلك الرجل الأب المسكين من عالم وزمن كاو استعاد طفلين من أبنائه الضائعين!

قاطع نور الدين حديثنا مشككًا فيه:

- يا عابد لو كانت قصتك تلك حقيقية لكنت ميتًا بالفعل الآن.

قلت مستنكرًا كلمات الصحفي:

- ومَن أخبرك أنه لم يحدث، يا صديقي في المحاولة التالية لأبي لاسترجاع الطفل المفقود، غاص أبي في العالم المظلم أكثر مما يتحمل، فاشتد النزيف عليه ولم يقوَ على العودة، كنت أعلم أن ما يحدث الآن مخيف وخطير فقمت بالحركة القديمة، قمت بجذب الكرسي من أسفل أبي حتى يسقط ويسترجع وعيه، ولكنه سقط جثة هامدة.

كانت الكلمات لها وقعٌ قوي ومؤثر على مريم، بينما ظلَّ نور الدين لا يبالي بالأمر، قالت مريم:

- أنت عشت تجربة صعبة يا عابد.

بينما قال نور الدين:

- وماذا فعل الرجل المميز حينما علمَ أنه فقدَ أحد أبنائه إلى الأبد؟

قلت له ناهيًا الحديث في تلك النقطة:

- الأمر كان سيئًا وممتلئًا بالشر، ولكن ما يهمك الآن أنه تقبل الأمر في النهاية بعدما أجبرته على ذلك.

- هذه ليست إجابة!، ولدي سؤال آخر، كيف لم تمتلك الفضول أن تسأل هؤلاء الأطفال عما حدث لهم.. كلانا يعلم أنك شخص فضولي للغاية.

- ألا تدرك أنني في تلك اللحظات فقدُت أبي؟!، أي فضول تتحدث عنه أيها الأحمق وأنا أرى نظرات التوعد في عيني الرجل المميز.. الوضع كان مخيفًا للغاية.

فقالت مريم بملل:

- دعنا نترك تلك القصة الجانبية ونعود إلى قصتنا الرئيسية، كاو وآرم الآن أسيران داخل معسكرات بطليموس.. وعلى وشك إعدامهما!، أما عن تلك القصة يكفيك القول أن سنو كان كاذبًا بل وكان يدرك اللغة ويعلم أنها لم تأتِ له سوى من المستقبل!

عابد أديب عابد

نُشِرَت هذه الكلمات على مدوَّنة الروحاني

الخميس الثاني من يونيو ٢٠٢١

***

استيقظ الآن!
الحلقة الرابعة: شمس الأهرامات الأخيرة

أصدقائي، محتمل أن تكون تلك الحلقة هي الأخيرة لي عبر شبكات التواصل الاجتماعي، أكتب إليكم هذه الكلمات وقد اشتد المرض بي وصرت أشعر أن الموت يطوف حولي، الوباء الملعون سيطر على إحدى الرئتين تمامًا ولم يعد لي سوى منفذ ضئيل من الهواء نحو دمائي، يا إلهي خفف من سكرات رحيلي، لن أطيل الحديث هذه المرة، ولن أتكلم طويلًا بل سوف أبدأ في الحال استئناف كلمات القاتلة عن كاو وأصدقائه لعل هذه المرة نصل إلى نهاية القصة ونفهم مغزى ما يحدث حولنا.

هذه المرة تركت مريم القصص الجانبية حيث الآباء والأطفال المتبادلة بين العوالم المختلفة والأزمنة، وعادت للحديث عن كاو المتعطش للانتقام من قتلة أسرته، تحكي لنا ما حدث له بعدما سقط هو وآرم على أيدي حراس الكاهن يامي بعدما تعرض إلى مكيدة للتخلص منه؛ حيث تحالف الكهنة والجيش التابع للملك بطليموس مع جميع من ساهم في اغتيال الإسكندر الأكبر.

منتصف ليل جديد وكبد السماء خالٍ من أي غيوم رغم أن الرياح باردة وليست هادئة، القمر بدر مكتمل

شاهد على ما سوف يحدث من تلاحم السيوف وإزهاق أرواح وإسالة دماء، كان كاو داخل الزنزانة يتخيل أمامه مشهد احتراق زوجته وابنته، يحاول الشعور بصرخات ابنته العاجزة عن النطق وهي ترى أمها تحترق أمام عينيها، كان يتخيل وعقله لا يرحمه في رسم صورة كاملة شديدة الألم عما حدثَ حينذاك، يقبض يده ويلكم الحوائط من حوله ويصرخ متألمًا ومتوعدًا على إزهاق أرواح كل من تنفس جسده في ذلك اليوم، كاد يقسم بجميع الآلهة أن يتذوق الجميع ما ذاقه من مرارة، وأن يتجرع الجميع كأس الموت إلى نهايته، رغم غضبه المعتاد إلا أن تلك النوبة التي تمر به الآن لم يشعر بها من قبل، سحقًا للجميع.

لم يدم السكون من حوله طويلًا وبدأت تحركات مريبة تحدث من حوله، كانت الجنود تهرول خلف بعضها البعض ونطق أحدهم أن هناك مَن يحاول اقتحام المعسكر وتهريب الأسرى، لم يكن كاو يفهم ما يحدث من حوله ولكنه لم يكن على بُعدٍ سوى لحظات من الرد حينما رأى أمام عينيه عشرات من الجنود التابعة للملك بطليموس يتساقطون حول زنزانته، كان يبحث بعينيه عن تلك الأشباح التي ثأر له ولجميع المساجين هنا، وفجأة ظهر صديقه القديم ليل أمام قضبان السجن، قال كاو مندهشًا:

- ليل، هل هذا أنت حقًّا؟!، كيف علمت مكاني؟!، يا إلهي لا أصدق ما أراه أمامي..

أخذ ينظر ليل إلى أبعاد قضبان الزنزانة باحثًا عن ثغرة كي يخترقها وأثناء ذلك.

- لا عليك الآن يا أخي، إنها حكاية طويلة، يجب أن نحررك الآن، العالم بالتأكيد يحتاج إلى العقرب الأخير.

رمق كاو مطرقة ساقطة أرضًا جوار أحد جنود بطليموس فأشار ناحيتها:

- ليل هناك، امنحني تلك المطرقة حالًا، أسرع أرجوك بعد لحظات سوف يقوم أتباع الشيطان بهدم ذلك المعسكر على كل إنسان بداخله.

في اللحظات الأولى لم يفهم ليل الأمر، ولكنه سرعان ما تغير ذلك حينما رمق تلك النافذة الحديدية في جدران الزنزانة، سرعان ما تحرك الفتى وأخذ المطرقة ومنحها إلى كاو بين قضبان الزنزانة فأخذها الأخير وتسلق الجدار وضرب النافذة بالمطرقة حتى تهشمت وسقطت ثم نظر إلى صديقه:

- اخرج يا ليل وقابلني في الخارج، وتذكر أنه لا يجب أن نترك أيًّا منهم على قيد الحياة، تلك حرب إبادة لجميع الخائنين.

أومأ ليل في تفهُّم قائلًا:

- عُلِمَ يا صديقي، لنسحقهم جميعًا.. اللعنة على بطليموس وجميع أتباعه.. إنها الثورة، إنه التمرد.

في الخارج دارت موجة ثانية من المعركة، موجة أكثر شراسة ودموية، انطلق كاو يمزق في أجساد جنود بطليموس ويسقطهم قتلى هنا وهناك، كان يتسلق الجدران برشاقة ويمزق صدورهم بخفة، ويصد ضرباتهم ببراعة لا توصف، بسالته في المعركة بثَّت الثقة والقوة في نفوس أصدقائه شد من عزيمتهم وأخذوا طاقتهم من طاقته، اقتحم كاو مبنى آخر في المعسكر وأخذ يقتل كل من تسوِّل له نفسه المواجهة حتى وصل إلى قسم المساجين، وأخذ يبحث في البداية عن آرم ابنة الكاهن الملعون يامي ولم يمر وقتٌ طويلٌ حتى وجدها العقرب وبسرعة أخذ يبحث عن المفاتيح في جثة الحراس المحاطين بها، قالت آرم:

- هناك يا كاو، ذلك الملعون هو مَن يملك المفتاح.

نظر لها كاو لحظات ثم تحرك بسرعة إلى الجثة وأخرج منها المفتاح وحررها من أسْرِها، ألقت الفتاة بنفسها في أحضان العقرب ولكن الأخير قال:

- آرم يا ذات الجمال، أنا سعيد أنك بخير يا ذات العماد والقوة، هيَّا، نحن لا نمتلك الوقت، يجب أن نرحل من هنا حالًا.

استمرت المعركة في الخارج بعض الوقت، وظل العقرب وأصدقاؤه في سحق جميع من في المعسكر، ولكن نجح أحد جنود بطليموس في التسلل نحو الجدران وأشعل نيران الخطر، وكانت تلك الشعلات بمثابة طلب استغاثة من المعسكرات المجاورة لهم؛ فعَلِمَ كاو أنه لا سبيل في سحق الجميع هنا وبدأ في الإشارة إلى ليل بضرورة الانسحاب من ذلك المكان حالًا، وما كان من الأخير سوى تنفيذ رغبة العقرب في الحال، ولكن سهمًا غادرًا في صدر ليل ليسقط أرضًا في الحال.

***

قال نور الدين بسخرية:

- عاطفي أكثر من اللازم ذلك العقرب الغريب، رغم كل ما حدث له ورغم علمه أن الكهنة وعلى رأسهم آنو الثالث ويامي هم مَن قتلوا ابنته وزوجته، ما زال يحاول إنقاذ آرم من وقتٍ لآخر.

هنا نظرت مريم لي وسألتني عن رأيي، هل كان كاو عاطفيًّا أكثر من اللازم مثلما يقول نور الدين، فقلت لها وأنا أعي الإجابة جيدًا:

- لا أعلم!، ولكنَّ فقدان ليل في تلك اللحظات سوف يكون مؤثرًا جدًّا على حياة ذلك الشاب..

سريعًا انطلقت مريم في إكمال فصول قصتها الأخيرة...

***

فتح ليل عينيه بعد أسبوع كامل من الأحداث السابقة، تغيرت الأوضاع قليلًا ويكفي للجميع أنهم الآن في بُعدٍ مناسب من ميدان المعارك، كان الفتى ذو البشرة السمراء يعاني من بقايا سموم السهم الغادر في دمائه، تلاشت حرارته المرتفعة بالفعل، ولكن الدوار يلعب دورًا ليس بالهين في عقله ورأسه، كانت آرم تحاول جاهدة في تخفيف حدة آلام الشاب، استعانت بكل شيء تعلمته على أيدي والدها الكاهن يامي من علوم الطب وتسكين الآلام، كانت تملأ إناء من الفخار بالماء وتتركه حتى يصبح باردًا فتسكبه على رأس الرجل المريض وأسفل إبطه حتى يتعافى أسرع، من حرارته المرتفعة، طالما كانت تسمع والدها يتحاكى عن خطورة تغيُّر حرارة الجسد وكم هي المؤشر الأوحد لدنو المرء من العوالم السفلية، كثيرًا ما رأت الفتاة وأبوها أناسًا تغيرت حرارة أجسادهم فأخذوا يتحدثون بما لا يراه إنسان، كان يامي حينها مقتنعًا أن المريض يقف على حافة بين عالم الدنيا وعالم آخر لا يراه أحد، طالما كانت آرم في تلك الأثناء تطلب من والدها ألا يخفف حدة الحرارة ولا ننقذ ذلك المريض حتى يطلب هو ذلك، كانت تقترب منه وتسأله هل تريد أن ترحل أم تبقى معنا ولكنَّ أباها كان يرفض ذلك المنطق

نوعًا ما، كان يؤمن يامي أن إنقاذ المريض أو عدمه هو قرار الكاهن الطبيب فقط لا غير.

رمقت آرم عودة الوعي إلى ليل فسرعان ما اقتربت منه وربتت على كتفه برفق وأخذت تنادي على كاو:

- أيها العقرب، أظن أن هناك من رفض دخول العوالم السفلية وقرر العودة لاستئناف حربه معنا.

ثم نظرت آرم إلى ليل وقالت مازحة:

- ستندم كثيرًا على فعلتك هذه أيها الليل الطويل، هل رأيت النعيم؟! أم وقفت على أبواب الجحيم.. لذلك قررت أن حربنا الآن أهون كثيرًا..

نظر ليل إلى الفتاة ثم تساءل بصوت متألم:

- أي نعيم وأي جحيم؟!، لم يكن هناك سوى الظلام..

قطع الحديث كلمات كاو المتلهفة السعيدة من أجل سلامة صديقه:

- لا أصدق أنك بخير أيها الفتى، حسبتك لن تعود من جديد، كانت الحمى شديدة والسم يسري في عروقك سريان الماء في النيل، أنا سعيد أنك بخير، والخبر السار

أنني انتقمت لك وقتلت من حاول قتلك.

حاول ليل الاعتدال في جلسته وساعده كاو وأخذ يسعل بقوة وطلب رشفة ماء، ثم قال بألمٍ شديدٍ:

- أنا الأسعد أنك ما زلت على قيد الحياة، حينما ساءت الأمور في قرية الآلهة، علمت أن فرصة بقائك على قيد الحياة ضئيلة، ولكنني راهنتُ على تلك النسبة الضئيلة، كنت أعلم أن الأوضاع ستسوء أكثر والخراب يعم كامل البلاد ولا سبيل للنجاة سوى بالعقارب.. أو العقرب الأخير بتعبير أكثر دقة وأكثر ألمًا.

توقف ليل عن الحديث للحظات وأخذ السعال يشتد عليه من جديد ثم أردف وهو يشير إلى كاو:

- أنت الأمل الأخير لنا يا صديقي، يجب أن تتحرر من انتقامك الشخصي وتنتقم للناس كلها..

قال كاو إلى صديقه المريض:

- أنا أشكرك يا ليل، أنت أنقذت حياتي وعرَّضت نفسك للمخاطر من أجلي، ولكن أخشى أنني لم أعد أقوى على الانتقام من الجميع للجميع، والآن أريد أعلم..

قاطع ليل العقرب وهو يربت على كتف الأخير:

- أنا أعلم أنك تريد التساؤل عما حدث في القرية وكيف ساءت الأمور بعد رحيلك، أعلم أنك تريد التساؤل عن زوجتك وابنتك.. ميريت ولاميس..

شرد ذهن كاو لحظات وهو يتخيل ما حدث هناك ثم عاد سريعًا للحاضر.

- لن أكذب عليك، هناك جزء مني يرفض معرفة ذلك، أعلم أن ما سوف أسمعه ليس بالهين..

أومأ ليل موافقًا كلمات العقرب:

- أنت مُحِقٌّ يا أخي، ما حدث هناك كان بشعًا وكارثيًّا، عدد الناجيين كان قليلًا جدًّا، أتعلم أنك لست الوحيد الذي تعرَّض للخداع في تلك الليلة المشؤومة، أنت لست الوحيد الذي تم إبلاغه بضرورة الرحيل حتى يجلب علاجًا لذلك الوباء الوهمي، كان آنو الملعون يريد إبعاد كل قوة محتملة داخل القرية قادرة على الوقوف أمامه وأبطال معركة الإبادة التي حدثت هناك.

استشاط كاو غضبًا وحزنًا وصاح متألمًا:

- ولماذا فعل ذلك ابن الملعون؟!، أنا أتفهم خلافه معي، أتفهم بطليموس وهو يخوننا ويختار قتل العقارب والكهنة، أما سكان القرية والمواطنون، طالما كانت

الحروب بين الجيوش والسياسيين ما ذنب هؤلاء المساكين، ما ذنب ابنتي لاميس وزوجتي ميريت، تلك الطفلة البريئة وتلك السيدة العظيمة، سحقًا لهم..

كان العقرب ما زال لا يفهم التفاصيل الكاملة جراء تلك المذبحة البشعة ورأى ليل ذلك في عيني صديقه فسأله:

- أتذكر لعنة البيوت الثلاثة يا أخي؟!

شرد كاو لحظات بعدها أجابه:

- بالتأكيد، ومَن ينسى تلك الحكاية الغريبة؟

طلب ليل كوبًا آخر من الماء فمنحته له آرم في الحال وبعدها أكمل حديثه:

- قبل رحيلك ببعض الوقت وجد أحد المواطنين بيتًا رابعًا به بعض الكتابات الغامضة أيضًا، وأخشى أن يامي حصل على الرسالة كلها، وعلمَ مكان ما يبحث عنه أخيرًا.

تساءل كاو وهو يحاول ربط كل شيء ببعضه.

- أتقصد أن ما تمَّ تدوينه على الجدران كان رسالة تكمل بعضها البعض؟!

أومأ ليل وأجاب صديقه:

- أخي، آنو كان يخدعنا طوال الوقت، الأمر كله كان دومًا يتعلق بجلب الناس إلى قريته ومحاولة إقناعهم باستخراج بيوتهم من أسفل التراب وأنت تعلم الباقي ولكن الحقيقة لم تكن كذلك، كان آنو يبحث عن تلك البيوت الموشومة لا أكثر، علمت مؤخرًا أن تلك الكتابات كانت تخص أحد السحرة الأوائل وهو يكتب شيئًا ما ما زلت أجهله حتى، ولكن الأمر لا يبشِّر بالخير على الإطلاق، سمعتهم يقولون إن المدوَّن على تلك الجدران كانت طريقة تحريره من مرقده، وأخشى أنها معهم الآن!

همهم كاو مخاطبًا نفسه:

- تبًا لي..

أكمل ليل كلماته:

- حينما وجدوا ما يبحثون عنه قرروا إحراق كل شيء من حولهم وسحق معالم المكان حتى لا يستطيع أحد متابعة تقدمهم، بالإضافة أن الرحالة سنو كان يخدعنا حينما أنكر معرفته بترجمة الكلمات، ذلك الأحمق هو المترجم الخاص بهم ولكن ما لم أفهم معناه كلماته لي حينما تقابلنا مؤخرًا وكاد أن يقتلني حينما قال لي عن تلك الكلمات تخص حضارة لم تأتِ بعد، قال إن الأمر قادم من المستقبل وليس الماضي..

استشاط كاو غضبًا، ولكنه حاول كتم ذلك داخله بصعوبة.

- إنهم يتقدمون عنا كثيرًا الآن، لا أصدق أن ذلك الرحالة الأحمق خدعني في الماضي وشتت ذهني بتلك الصورة عن الحقيقة لو كنت علمت حينذاكٍ ما يحدث في الخفاء محتمل كنت أنقذت الجميع، ما يحدث الآن هو خطئي ونتيجة منطقية جدًّا لتخاذلي، ومؤكد أن من ضمن أسباب التخلص مني لأنني كنت أعلم كل هذا عنهم، تخلصوا مني لأنني أعلم بشأن المسافرين عبر الأزمان، أنا أعلم سرَّهم، وأعلم مخططهم، لم يريدون قتلي لأنني قتلت الإسكندر بل يحاولون إظهار الأمر هكذا، أشعر أن هؤلاء القوم أقوى من الفُرس واليونان، هؤلاء يتحكمون في كل شيء، حتى إنني لا أستبعد سيطرتهم على بطليموس نفسه.

قال ليل محاولًا تخفيف الأمر على صديقه:

- لا يهم الآن تلك التفاصيل وأنت لست مكلفًا بإنقاذ العالم كله أو توقُّع الأسوأ من البشر، ما يهم الآن هو معرفتنا أن آنو وحاشيته وشيء ما يبحثون عنه وأصبحوا الآن على مسافة قريبة منه..

هنا اقتحمت آرم المشهد وقالت مقاطعة كلماتهم:

- إنها في الأقصر.

نظر كلٌّ مِن كاو وليل إلى الفتاة وأردفت حديثها:

- اطلعت على رسائل كثيرة بين يامي وعدد من الكهنة في مختلف أرجاء مصر، وأنت مُحِق يا ليل أنهم يتبعون أثر ساحر قديمٍ من السحرة الأوائل، ساحر الجليد، لا يعلمون اسمه، وأيضًا لا يعلمون في أي حقبة زمنية ولكنهم على ثقة تامة أنه موجود، لا أعلم تفاصيل كثيرة عنه، ولكنني حينما كنت أقرأ رسائل يامي كان هناك كاهن يدعى هود يعيش في مدينة منف، الحوار الدائر بين كلا الكاهنين يوضح بقوة أن هود يعلم كل شيء كأنه هو رئيس تلك الحملة البحثية، وعلمت من إحدى الرسائل أن هود يعلم جيدًا ما يبحثون عنه موجود في مدينة الأقصر، ولكنه كان يريد معرفة نطاق أضيق للبحث عن مدينة بأكملها، سمعتهم يقولون ما يبحثون عنه هو أصل ذلك الساحر ونقطة بدايته..

قال كاو محاولًا تلخيص الأمر على نفسه وعلى الجميع:

- إذًا ما كانت تحاول الكهنة جمعه من على جدران البيوت هي خريطة للوصول إلى ما يسمى أصل بداية ساحر الجليد، إذًا أنتِ تحاولين إقناعي أن ذلك الساحر محتمَل أنه يعيش قبل أمد بعيد، ولكنه ما زال على قيد الحياة ومختفيًا في مكان ما.

قالت آرم:

- هذا احتمال وارد، ولا يمكن إنكاره، ولنا في قصص الأخوين ابن بوران خير مثال ودليل على أبدية السحرة، ولكن ماذا لو فعلًا مات الساحر القديم والكهنة الآن تحاول البحث عن إرث أو الأصل تركه ذلك الفاني الراحل.

صمت الجميع وأخذوا يفكرون في تلك الأمور المستجدة فقطع الصمت ليل متسائلًا:

- ماذا سنفعل الآن يا كاو؟!

نظر كاو إلى آرم وهو يحاول إقناع نفسه بضرورة الثقة بها والتحرك جراء كلماتها.

- سنذهب إلى منف، يجب أن نقابل الكاهن هود أولًا.

لم يكن المكان المنشود هو مدينة منف ذاتها، بل قرية الكاهن هود تقع على بُعد يومٍ ونصف شمال غرب منف، قرية صغيرة محاطة بسور هائل وبوابة ضخمة يحرسها اثنان من أصحاب الجثث الهائلة تحسبهم في بداية من المصارعين الرومان وكأن الأسد قادم لهم قريبًا ليبدأوا القتال بينهم، كان الليل قد أسدل ستائره على المكان في تلك الأثناء وكاو يراقب المشهد من على بعد كافٍ جعله غير مرئي، يدرس المكان والموقع الغريب مندهشًا كيف له طوال تلك السنوات الطويلة لم يزُر تلك القرية الغريبة من قبل،

كان يتساءل داخله، ولكن واضح أن لسانه نطق بالكلمات الحائرة فسمعته آرم:

- ينتابني نزير شؤم عن هذا المكان يا رجل، أشعر أن هناك شيئًا غير مألوف يحدث في الداخل.

لم يرد كاو وأخذ يراقب المكان فأردفت آرم ساخرة:

- رغم أنه لا أظن أن هناك مَن هو أغرب من يامي وأفكاره وهو يقتل اثنين كل يوم وآخر، ويقدم أرواحهم للآلهة وأبنائها.

تجاهل كاو الرد من جديد ونظر إلى ليل فقال الأخير بفضول:

- ماذا سنفعل هنا يا أخي؟!، التسلل نحو الداخل أم العبور على جثث هؤلاء الضخام؟!

من بعيد وجد كاو قافلة تجارية تقترب من بوابات القرية فنظر إلى صديقه ليل فهم الأخير الأمر وأومأ موافق تلك الفكرة ألا وهي التسلل بصحبة هؤلاء التجار نحو الداخل، التسلل بدون قطرة دماء واحدة، في تلك الأثناء فتحت القرية أبوابها وخرج أحدهم، كان يرتدي ملابس فضفاضة غريبة زرقاء اللون وحول عنقه قلادة مميزة جدًّا تتخذ مفتاح الحياة شكلًا لها، يتبع كاو اقتراب

القافلة من البوابات وبسرعة نظر إلى أصدقائه حتى يتقربوا من المشهد بل ويلتحموا معه حتى لا يميزهم أحدٌ عن الباقيين.

أمام البوابات تقدَّم رجل من القافلة التجارية واضح من هيئته أنه قائدها أو مرشدها وقال إلى حراس البوابة:

- نودُّ بالدخول، معنا أجود البضائع، بالتأكيد أهل تلك المدينة ينقصهم الكثير من الأشياء.

قال أحد الحراس بصوت أجش غاضب:

- يجب أن تجد مكانًا آخر للتخلص من بضائعك!

قال قائد القافلة بإصرار شديد:

- ويحك يا رجل، نريد أن ندخل ونبيع كلَّ ما لدينا، تلك البضائع ستتلف إن سافرنا بها من جديد ونحن جائعون وليس معنا موارد للحياة، تحلَّ بأخلاق الشرف وأدخلنا نحو القرية، دعنا نرتاح أو على الأقل تحدَّث مع قائدك وأخبره بالأمر، تصرفاتك لا تليق بالنبلاء حقًّا.

كاد أن يغضب الحارس وأمسك مقبض سيفه، ولكن تدخَّل الحارس الآخر في الحال وقال مقاطعًا غضب صديقه:

- أنا أرى أن الرجل محق، يجب أن نسمح لهم بالدخول.

ثم نظر الحارس إلى صديقه الغاضب:

- يجب أن نتحلى بالشرف والنبل ونسمح للرجال بالراحة وبيع ما لديهم.. ادخلوا الآن أيها الفرسان..

ابتسم الحارس الغاضب في خبث وفسح الطريق للقافلة في الحال وشرع الآخر في فتح البوابات، رمقت آرم ما بين دفتي البوابة ونظرت إلى داخل القرية فرأت جنات خضراء على مدى بصرها فعلقت على الأمر:

- ما هذا الجمال الساحر!

نظر كاو أيضًا ولكن انتابته مشاعر سلبية تجاه الأمر.

- لا أحكام مبدئية..

- كأنها جنة الآلهة يا رجل.

أعاد كاو كلماته بصوت هادئ منخفض وهو يشرع في دخول القرية:

- قلت لكِ لا أحكام مسبقة.

عبرت القافلة البوابات ومن خلفها كاو وآرم وصديقهما الثالث ليل، كاد أن يعترضهم الحارس الغاضب ولكن صديقه أوقفه وأومأ له إيماءة ذات معنى؛ فتراجع في الحال، وسمح لهم بالدخول وفور عبورهم البوابة تلاشت الجنات كأنها ذابت ذوبان الملح في الماء وتبدلت بأطلال هنا وهناك وسحابة دخانية تعم الأرجاء مع صرخات تنتشر في كل مكان من حولهم، انتشر الفزع في القافلة التجارية وكاو وأصدقائه وشرع الجميع في التراجع نحو البوابة من جديد، ولكن وجدوا أن البوابات والسور تلاشى وصارت الأنقاض تمتد إلى ما لا نهاية من كل الاتجاهات حولهم فقالت آرم في فزع شديد:

- ما هذا بحق الآلهة؟!، أين نحن يا قوم؟!

قال كاو:

- أخشى أننا في الجحيم ذاته!، لقد تم خداعنا.

***

قاطع نور الدين مريم متسائلًا:

- ماذا تقصدين أن كل شيء تغيَّر من حولهم وكيف الجنات أن تتحول بين لحظة وأخرى إلى أنقاض وغبار؟!، كيف تتلاشى الحياة ويعم الموت هكذا؟!

كادت أن تجيبه، ولكنني قاطعتها:

- سحر العيون يا رجل.. الجنة نار والعكس صحيح أيضًا، تُشبه تلك الأحداث نبوءات المسيح الدجال.

قال نور الدين بعصبية شديدة:

- أنا لا أصدق أي حكايات عن دجالين قادمين في آخر الزمان..

- إنكارك لا يؤثر على الحقائق في شيء.

- أنتَ تثق في الخرافات كثيرًا يا فتى..

- وأنت الخرافات هي مصدر رزقك الوحيد حسبما أعلم.

هنا تدخلت مريم وقاطعت جدالنا المعتاد:

- تعرض الثلاثي للهجوم المباغت في تلك اللحظات من أقوام غريبة وانتهى بهم الحال...

هنا قاطعتها متوقعًا الأمر:

- أسرى كالمعتاد!

- نعم أسرى، ولكن ليس كالمعتاد يا فتى!

***

بصعوبة وألم شديد تفتح آرم عينيها فبدا كل شيء من حولها غريبًا، كأن كل ما يحيط بها مقلوب رأسًا على عقب، ولكن بعد لحظات أدركت عدم صحة نظرتها وعلمت أنها مقيَّدة من أرجلها في سقف الغرفة، وتتأرجح ببطء شديد وذعر أشد، تحاول النظر حولها لعلها تجد كاو أو ليل أو أي وجه مألوف لها، ولكنها لا تجد سوى أشلاء وجثث مقطعة إما على أرض الغرفة أو معلقة جوارها، الفزع شديد وقلبها يعتصر خوفًا وألمًا، تشعر بالدوار وسيل من الدماء ينزل من أنفها، تحاول تحرير نفسها من تلك الوضعية المخيفة، ولكن هيهات أن تنجح في ذلك، تسمع خطوات تقترب منها فتهمس بصوت منخفض باسم صديقها كاو، ولكن سرعان ما تدرك حماقة تصرفها وتقرر الصمت بل قامت بادعاء فقدان الوعي وهي تراقب بنصف عين ما يحدث حولها، كانت سيدة ضخمة الجثة تقترب منها، شديدة البدانة وتحمل في يدها سلاحًا يشبه الفأس، وكانت شِبه عارية ويكسو جسدها الوشوم الحمراء منها والسوداء عبارات قديمة لا معنى لها في تلك الحقبة الزمنية الراهنة ويعلو رأسها عدد قليل جدًّا من خصلات الشعر الأسود الفاحم، رفعت السيدة يدها التي تحمل الفأس في الهواء، ولم تستطع آرم

كتم صرختها وشهقت بخوف متوسلة الرحمة، ولكن السيدة لم تعِ الأمر انتباهًا كأنها صماء لا تسمع شيئًا وقامت بطعن جثة معلقة جوار المسكينة آرم، شرعت في تقطيع جسدها حتى قامت بفصل فخذها بالكامل وتحركت به ناحية ركن الغرفة البعيد وشرعت في أكله، كان المشهد مرعبًا ولا مثيل له على الإطلاق، طالما كانت تظن آرم أن أبشع مخلوق جاء لتلك الحياة هو الكاهن يامي أبوها، ولكنها للمرة الأولى تعتقد أن هناك من أقسى وأفزع منه، تتوسل بداخلها جميع الآلهة أن يظهر كاو في أي لحظة ويحررها من تلك الأزمة المخيفة، ولكنها مع مرور الوقت جال في خاطرها سؤال ماذا لو كاو أيضًا ينتظر أسيرًا في مكان ما بتلك القرية ينتظر قدومه قد يحرره، كلما مرَّ الوقت أدركت أن عليها التحرك السريع وتحرير ذاتها، كانت تعلم اقتراب موعد افتراس تلك الكائنة لها، تفكر في أي الأجزاء ستشرع تلك الشيطانة في أكلها أولًا.

مر الوقت وسكنت الحركة في الغرفة تمامًا، حاولت الفتاة النظر تجاه تلك المخلوقة، ولكن الركن الذي تمكث به كان شديد الظلام فلم تتمكن من رؤية ما يحدث وما هو سبب ذلك الصمت الشديد حتى انطلق شخير قوي ينبئها بنوم تلك الكائنة العميق ويحفزها فى الحركة سريعًا في تلك اللحظات الحرجة، نظرت حولها وجدت مذبحًا هائلًا أمامها يمتلك بالشموع المشتعلة وجدت جثة معلقة بينها وبين تلك الشعلات المضيئة، حاولت تحريك جسدها ناحية تلك الجثة وأخذت تدفعها ناحية النيران لعلَّ ملابس الجثة

تشتعل ومن ثم تتمكن آرم من إحراق تلك الحبال التي تقيدها في السقف، كانت خطة مضحكة بعض الشيء ويستحيل تنفيذها ولكنها الأمل الأخير للفتاة بأن تخرج من هنا على قيد الحياة، بعد عدة محاولات اشتعلت الجثة بالفعل؛ فحاولت آرم تحرك نفسها ناحية النيران لعلها تنجو وتحرر من تلك القبضة، ولكن النيران لم تلتقط بالحبال بل اشتعلت قدماها وصار الألم لا يحتمل، أخذت آرم تصرخ بحرقة وهي ترى النيران تزحف ناحية بطنها وكامل جسدها، أخذت تتحرك بجنون وفجأة انقطعت الحبال وسقطت المسكينة أرضًا، ولكن الأقدار ما زالت لا ترحمها ولا تكتفي بقدميها المحترقتين بل سقطت على نصل رمح، اخترق فخذها فشهقت وحسبت أنها النهاية لا محالة، كانت تتألم بشدة وهي ترى الدماء تنهمر بغزارة من فخذها وأنفها، حاولت لمس السهم حتى تسحبه من جسدها، ولكن الفكرة كانت شديدة الألم، لم تقوَ حتى على لمسه إلا وشرعت في صراخ لا ينقطع.

حاولت بصعوبة أن تكتم المسكينة آلامها ووضعت قطعة من ملابسها داخل فمها، وأخذت تعض عليها بقوة شديدة، سمعت تقلبات جسد الكائنة وشعرت أنها على وشك الاستيقاظ وتناوُل وجبة بشرية جديدة، أخذت تزحف آرم ناحية أحد أركان الغرفة بصعوبة شديدة وهي تأمل أن تكون نظريتها على صمم تلك الكائنة صحيحة، ولكن فجأة أمسكت الكائنة بقدم الفتاة وجذبتها ناحيتها، نظرت آرم إلى وجه الشيطانة الملعونة ورأت الشر كله في عينيها

وهي ترفع يدها في الهواء حاملة الفأس وتستعد كي تهبط به عليها، صرخت آرم بقوة شديدة وأغمضت عينيها منتظرة مصيرها..

***

قال نور الدين معقبًا على ذلك الفصل من الحكاية:

- ومن تكون تلك السيدة الغريبة؟!، أمنا الغولة؟!

أجابته مريم قبل أن تستأنف حكايتها:

- هي الأصل، من ذلك المشهد تم استلهام أسطورة الأم الغولة.

قال نور الدين بعد اقتناع:

- حسنًا، ليس أغرب شيء سمعته حتى الآن..

***

على جانب آخر من الأحداث وداخل زنزانة جديدة يتم احتجاز كاو مقيدًا بالحديد نحو الحائط وأمامه ليل في الموضع ذاته، استيقظ كاو في حالة من الفزع بعدما شاهد خلال منامه ابنته لاميس تتوسل له أن يساعدها ويحرر روحها المعلقة بين العوالم المختلفة، أخبرته أنها تتعذب وأنه

الوحيد القادر على منحها السلام، شاهد عددًا هائلًا من الثعابين تتحرك ناحيتها وهي تصرخ خوفًا وذعرًا، صرخ كاو باسم ابنته وأخذ يحاول كسر أغلاله فحاول ليل تهدئة صديقه.

- اهدأ يا رجل، اهدأ.. العصبية الآن لن تحل أي شيء على الإطلاق، يجب أن نركز حتى نتحرر من ذلك الأسر أيضًا ونفهم ما يحدث حولنا.

صاح كاو صارخًا:

- أين نحن بحق الجحيم؟!، لماذا يجب أن يسير كل شيء بتلك الصورة؟ فجأة اصبح الجميع يتطلع إلى موتي، كلما تحررت من سجن وقعت في سجن آخر.

- اهدأ أرجوك، الجميع يريد موتك لأنك الأمل الوحيد لتلك الأمة، أشعر أننا اقتربنا من شيء ما كبير هنا، نحن اقتحمنا أسوار الشيطان ذاته.

قال كاو غاضبًا:

- اللعنة على تلك الأمة كلها، أنا لا أريد أن أكون الأمل لأحد، كنت أريد فقط العيش في سلام مع زوجتي وابنتي، اللعنة على الجميع تبًا لهم، تلك الأمة قامت بخيانتنا واتهامنا بمقتل أطفالهم، تلك الأمة تجمهرت أمام

المعابد وقصور الفراعنة تلعن في العقارب والكهنة وكل شيء وقف جوارهم، تبًّا للجميع، يا ليتهم قتلوني وتركوا ابنتي وزوجتي في سلام.

قاطع ليل كلمات الصديق المتألم الباكي:

- توقف يا أخي أرجوك، يجب أن تهدئ حتى نجد حلًا لتلك المعضلة.

سمع الصديقان صوتًا أنثويًّا من مكان مقترب شديد الظلام يضحك بهدوء.

- من هناك؟!، يجب أن تظهري نفسك حالًا.

- أيتها الغريبة ما هذا المكان؟! وماذا تريدين منا؟!

- وأين آرم؟!، تلك الفتاة التي كانت بصحبتنا؟!

قال الصوت الأنثوي:

- ما بكم يا قوم؟!، أكل هذه تساؤلات!.. أنا سجينة جواركم لا أكثر، ولكن اللطيف أنني أعرف العقرب جيدًا.

تعجب كاو من ظهور صوت أنثوي في تلك اللحظات فنظر ناحية المصدر، ولكن الظلام كان يخيم على المكان

فتساءل بفضول:

- من تكونين بحق الجحيم؟!

- أنا حزينة لأنك نسيت صوتي، رغم ذلك لن أنكر أنني سعيدة لمشاركتي مع ابنتك في الاسم ذاته.

صعق كاو وقال في ذهول:

- لاميس؟!، كاهنة المعبد أهذا أنت حقًّا؟!

ضحكت السيدة ولم ترد على سؤاله وهنا كان ليل لا يفهم أيًّا مما يحدث حوله، فتساءل:

- ما يحدث هنا يا قوم؟! ومن تكون لاميس؟!

- إنها محاربة من المعبد الكبير، هي من قتلت الأخوين أبناء بوران اللعين، قتلة السحرة وشاربون الدماء وغيرهم من الأشرار.

همهم ليل بصوت هادئ وهو يفكر في كلمات صديقه:

- عاهرة المعبد.

سمعته لاميس بالرغم من نبرته الخافتة، وقالت بصوت غاضب:

- ماذا قلت أيها الأحمق؟!

تردَّد ليل وتراجع سريعًا عن كلماته:

- لا شيء يا سيدتي، لا شيء على الإطلاق.

قطع كاو حديث الثنائي حتى لا يتفاقم الأمر بينهم قائلًا:

- ما الذي أتى بكِ إلى هنا يا لاميس؟!

- إنها حكاية طويلة يا صديقي.

***

قلت موجهًا حديثي إلى مريم:

- نقطة تلاقٍ مميزة يا مريم، هنا أخبرك كاو بكل شيء وحكى لكِ قصته ومن ثم تخبرينا الآن تفاصيل حكايتك حتى نصدق أنكِ أبدية الحياة، ولكن هذا لا يمحو عنك جريمتك في مقتل أصدقائك.

ردت مريم بعصبية شديدة:

- هل ما زلت تظن أنني أهتم لأمر هؤلاء الحمقى في

الخارج؟!، هل تظن أنني أهتم لأمر الإعدام؟!، أنا أحاول إخبارك بمجدك!، أخبرك بعظمة دورك في تلك الحياة، فقط اسمع وأنصِت لي جيدًا.

كانت العصبية جديدة على تلك السيدة، تلك النبرة تشعر أنها دخيلة عليها، كأنها ليست لها، التزمت الصمت من جانبي، ولكن نور الدين قطع الأمر وقال متسائلًا بنبرة حمقاء:

- حسنًا مريم هي الكاهنة لاميس.. أنا أعي ذلك الآن، ولكن لماذا يتم سرد الحكاية من جانبك على كون الكاهنة شخصًا آخر؟!

شعرت مريم بواقعية وذكاء السؤال هذه المرة وأجابته:

- لأنني مختلفة الآن كثيرًا عن تلك السيدة المقاتلة، نعم لنا نفس الجسد والروح، ولكن الطباع والأفكار تغيرت؛ فأنا لم أعد أحمل السيوف وأقتل السحرة كما كنت في الماضي، كل ما كنت أريده أن أعيش حياتي في هدوء وسلام مثلما حاول كاو فعل ذلك.

***

لا يمكن لآرم أن تتذكر كيفية سحبها نصل السهم من فخذها ثم هجومها السريع المباغت على تلك الكائنة سمينة

الجثة والهيئة، ولكنها فعلت ذلك على أي حال، قامت الفتاة بدس نصلها في معدة السيدة العملاقة وهي تصرخ بشدة بسبب آلام نخذها بما يخرج منه من دماء تنهمر بغزارة ومشاعر الألم الناتج عن الخوف الشديد لما يحدث حولها، قامت آرم بقطع جزءٍ كبيرٍ من ردائها الممزق كي تربطه بقوة على مكان جرحها وهي تعتصر شفتيها بأسنانها ألمًا، ولكنها سرعان ما انتهت من تلك العملية المؤلمة وأخذت تحاول النهوض والحركة بعيدًا عن ذلك المكان، كانت شِبه متأكدة في تلك الأثناء من أن كاو وليل محتمل أنهما لقيا مصرعهما ولكنها ما زالت تتعجب أن يرحل ذلك العقرب الخبيث بتلك السهولة والبساطة، كانت تشعر أن ذلك المحارب يستحق رحيلًا عن الرحيل بشكل درامي أكثر، لا يموت مطعونًا في ظهره بتلك الخسة والنذالة، عبرت ممرًّا ضيقًا كان المكان يشبه الكهف أو معبدًا تم نحته داخل الجبال، رسومات شيطانية تملأ جدران الممر، لوحات منحوتة تجسد معارك وملاحم وبالإضافة إلى عبارات وكلمات من لغات قديمة لا معنى لها في تلك الحقبة المتقدمة، تحاول الفهم، ولكنها لا تمتلك الوقت الكافي للبقاء، كما أن الألم ينخر في جسدها نخرًا، تتوغل أكثر في الممر لعله يصل بها إلى ضوء الشمس في النهاية، ولكن الأجواء من حولها لا تزداد إلا ظلامًا وسكونًا حتى وجدت شعلة نار معلقة على الحائط لم تردد في أخذها وصارت تتحرك بها نحو الجزء الأعمق من الممر، وبعد مرور بعض الوقت رمقت نسيم هواء قادمًا من أمامها فشعرت أن لتلك الظلمة الموحشة نهاية تقترب،

وأن الحرية تقبع أمامها مباشرة؛ فأخذت تهرول وتسرع من خطواتها ولكن الألم ازداد أكثر فجعلها تجر قدمها المصابة في الأرض، كادت أن تتعثر مرة أو اثنتين في الطريق وأوشكت على أن تسقط عدة مرات، ولكنها تحاول جاهدة ألا يحدث ذلك، كانت تعلم أنها لو سقطت مؤكد أن تفقد وعيها أو تموت في ذلك المكان الموحش، وفجأة رمقت نهاية الممر وكأن الأمر حقيقيًّا وكل ظنونها في محلها أنها فعلًا النهاية وبدأ ضوء القمر يتسرب نحوها، تحركت بسرعة متجاهلة الألم هذه المرة، وقُرب النهاية ظهر صبي يبدو في منتصف عقده الثاني يراقب مدخل الممر كأن الفضول يأكله أكلًا للدخول فتلاقت عينا الجريحة وعينا الصبي المتطلع، ولكن الأخير كان مشتتًا، خائفًا، فأخذ يصرخ بصوتٍ عالٍ:

- سول، أهذه أنتِ؟!، قالوا إن شكلك مخيف ولك جثة ضخمة وهيئة مرعبة.

فزعت آرم من تصرُّف الصبي وأشارت له حتى يتوقف عن الكلام؛ ففهم الفتى الأمر وتوقف عن الحديث، اقتربت منه آرم وقالت:

- أظنك تقصد تلك اللعينة التي كادت أن تأكلني، أنا قتلتها على أي حال.

- قتلتِ سول؟! هذا غير معقول!

- نعم فعلت والآن أريدك أن تساعدني في أمرٍ هام، لي أصدقاء أظنهم أسرى هنا، أنت بالتأكيد تعلم مكانهم، ويجب أن نصل إليهم الآن.

تردد الصبي بعض الشيء فكررت آرم حديثها:

- سيكون لك مكافأة كبيرة.. أخبرني هيَّا.

قال الصبي بقلقٍ:

- أي أصدقاء، أنا لا أعلم شيئًا.

صمت لحظات ثم تساءل:

- أتقصدين العقرب وزميله؟!

أومأت آرم بالإيجاب فأضاف الصبي:

- حسنًا، أنا أعلم مكانهما.. رأيتهما أمس وهم يزجون بهما إلى السجن في شمال القرية ويمكنني إيصالك إلى هناك.

- وهل الوصول إليهما سيكون أمرًا يسير؟!

- أظن ذلك، اليوم طقوس إيحاء الساحر وطمس لعنة

تلك الأرض، أبي يقول إننا سوف ننال حريتنا ولن نعد سجناء في تلك القرية، وأن جميع الحراس حاضرون في الجنوب بعيدًا عن السجن، وأعتقد بأن بإمكاننا تحريرهم.

ومن الناحية الأخرى، وقْعُ المفاجأة شديد على كاو وبقي صديقه لا يفهم شيئًا على الإطلاق مما يحدث، ليل يتأمل الموقف وهمس إلى كاو متسائلًا عن المتحدثة ولكن الأخير لم يمتلك القدرة على الرد وشرح الأمر، ومع ذلك أجابه بشكلٍ مُختصَر بكونها الكاهن الأكبر لمعبد الإله آمون، مكانة الكاهنة لاميس هائلة وشُهرتُها وصلت إلى كل حدبٍ وصوبٍ فلم يتخذ ليل وقتًا حتى أدرك كينونتها، ولكنه لا يعلم عنها سوى القليل جدًّا مما يقال هنا وهناك عن تلك السيدة؛ فأناس كثيرة ترى أنها أعظم مَن أنجب الوطن وهي حملت على عاتقها مسؤولية ضخمة في تحرير البلاد دومًا من المعتدين والظَّلَمة والقتلة والفاسدين ولكن هناك أيضًا آخرين يرفضون تلك الرؤية ويحملونها كل الشر، هناك كثير من أبناء الشعب وضعاف النفوس يرفضون مواجهة الغزاة ويظنون أنها دومًا تأتي عليهم بالخراب والدمار وهم مستعدون ولا يمتلكون أي مشكلة في قتل الفرعون ودخول القصر الملكي مَلكٌ من الفرس أو مقدونيا أو من أي مكان حول العالم؛ هم فقط يريدون الطعام والشراب والجماع وعيش حياة بسيطة إلى الموت.

قال كاو مشيرًا إلى المنطقة المظلمة القادم منها صوت لاميس وتساءل:

- ما الذي يحدث هنا يا لاميس؟!.. الأمر مخيفٌ لم يحدث ولو مرة في حياتي أن رأيت شيئًا مثل هذا، أي سحر يمارس هنا بحق الآلهة كلها؟!

ساد الصمت طويلًا، كانت الكاهنة تفكر في إجابة منطقية تمنحها إلى ذلك المقاتل الشاب، ولكن لا إجابة ولا منطقية لما يحدث هنا فوجدت نفسها تهمهم:

- الأمر مُعقَّد يا صديقي الغالي، الأمر معقد.

أومأ كاو غير راضٍ عن تلك الإجابة التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ولكنه ظل صامتًا يتألم من تلك الجروح المتفشية في كامل جسده، ولكن الكاهنة قطعت ذلك الصمت الطويل وتساءلت:

- ماذا حدث لأسرتك؟!.. تلك الزوجة والصغيرة، لاميس!

انهالت دمعة من عيني كاو وأخذ يرتجف جسده حزنًا على ما حدث وهمهم بلسان باكٍ:

- الأمر مُعقَّد.

تعالى صوت بكائه وألمه هذه المرة، وهو ينهار ويشعر

بالوحدة والفقدان، لا يعلم كيف للحياة أن تستمر بدون أسرته، يتألم وقلبه يشتعل كأنه بركان يكاد ينفجر، حاول ليل التخفيف عن صديقه، ولكنه تراجع عن الأمر، كان عاجزًا بشدة عن قول أي كلمات تخفف من حدة الأمر وكذلك لاميس لم تجد بداخلها أي شيء، ورفض لسانها التحدث الكاهنة عاشت مرارة تلك التجربة من قبل وهي تعلم جيدًا تلك النوبة من البكاء والحزن والرثاء مفيدة للتخفيف من وطأة وحدَّة الحزن فتركت العقرب يبكي في سلام حتى توقف ثم قالت:

- أنا أشعر بك!

صمت كاو ولم يرد وأردفت لاميس:

- حسنًا قبل مئات السنين أو آلاف لا أعلم تحديدًا، قام رجل بتسخير قوى المياه، وصار يتلاعب بتحويلها إلى الثلوج والعكس في لحظات، كان بارعًا ومميَّزًا وقادرًا على إغراق أمم بالكامل في لحظة واحدة وهو أصل العديد من الأساطير المنتشرة على جدران الحضارات المختلفة، طالما سمعنا عن أمم غرقت بين عشية وضحاها، كان ساحرًا ظالمًا وغاضبًا ولكنه قوي للغاية.

تبادل كاو وليل النظرات وهما يسمعان كلمات الكاهنة فصمتت الأخيرة فقال ليل في فضول شديد:

- حسنًا.. وماذا بعد؟ أيتها الكاهنة أكملي الحديث.

- أخشى أننا لا نعلم الكثير من التفاصيل ولكن...

قاطع كاو الكاهنة متسائلة في ريبة:

- ولماذا لم يصل لنا اسمه طالما عاش في حضاراتٍ عدة بتلك الصورة؟!، وهل معنى حديثك أنه خالد؟!

اندفع ليل وقال مؤيدًا كلمات صديقه:

- نعم أنت مُحِقٌّ، هناك أمرٌ غيرُ واضحٍ..

لم تفكر لاميس طويلًا هذه المرة وقامت بتوضيح وجهة نظرها:

- كلا السؤالين لهما الإجابة ذاتها، ذلك الساحر ليس بخالد، ولكنه توصَّل بطريقة ما إلى نقل روحه من جسد لآخر، بمعنى أوضح أنه كلما اقترب جسد من الهرم والموت يتركه وينتقل إلى جسد آخر أكثر شبابًا وبتلك الطريقة عاش ذلك الساحر آلاف السنين.

كانت المرة الأولى التي يسمع فيها كاو كلماتٍ مثل هذا، طالما سمعَ عن إكسير الخلود، وأيضًا كافة محاولات الأشرار، وأيضًا الأخيار والحكماء في التوصُّل إلى سر البقاء

طويلًا، وطالما واجه أو تطلع وأيضًا قتلَ كل من حاول الخروج عن المألوف والسعي خلف بث الخلل في التوازن الطبيعي المتعارف عليه. قال ليل:

- يا إلهي!

ولكن كاو تساءل من جديد:

- وكيف علمت تلك المعلومات عنه؟!

أجابت لاميس:

- قمت بالاستعانة ببعض الكيانات المظلمة، كيانات لم تحضر بنفسها الكوارث السابقة ولكنها سمعت أجدادها عن تلك الأمم التي تعرضت للغرق وغيرها من الأمور، ولكن كما قلت لك لا نعلم الكثير عما حدثَ في الماضي كأن هناك من حاول طمس الأمر عن الجميع، هناك من كان يريد إخفاء هوية ذلك الساحر.

همهم كاو مضيفًا إلى كلمات الكاهنة:

- مَن يحاول طمس هوية الساحر سوى نفسه!

- أنت مُحِقٌّ بنسبة كبيرة، وأخشى أيضًا أننا غير متأكدين من كونه ذكرًا أو أنثى ولكن يمكنك تسميته بفارس

الجليد، إحدى الكيانات التي تواصلت معها أخبرتني أنه في زمن ما أخذ ذلك اللقب.

ليل محاولًا ادعاء الذكاء ومواكبة الحديث والتحاور معهما:

- أو فارسة الجليد.

- كل شيء وارد يا عزيزي.

حاول كاو فهم الأمر أو استنتاج بعض الأمور من كلمات الكاهنة وحالتهم المزرية الأسيرة في ذلك السجن الغريب، ولكنه ما زال لا يفهم ما علاقة كل هذا ببعضه، حتى إنه لا يعلم ما سبَب تواجد الكاهنة في تلك البقعة الملعونة من الأرض.

- حسنًا ما علاقة تلك الأحداث القديمة بما نحن عليه الآن؟! وما سبب وجودكِ هنا أصلًا؟!

أجابت الكاهنة لاميس في الحال.

- تعرض فارس الجليد إلى مكيدة ما في أحدى العصور، ولم يتمكن من الانتقال بروحه إلى جسد آخر، لا أعلم إن كانت المكيدة التي تعرض لها هي تلك القرية الملعونة أم لا، ولكن جسده تم دفنه هنا وذلك هو سبب ما نحن

عليه!

تساءل ليل وهو يعلم الإجابة:

- جسد ذلك الملعون السبب في تلك اللعنة؟!

ردت الكاهنة:

- ليس جسده، بل روحه!

تدخل كاو في الحوار وتساءل هذه المرة:

- أتقصدين أن روحه ما زالت معلَّقة بالجسد الفاني؟!

أومأت لاميس في راحة أنها نجحت أخيرًا في إيصال الفكرة إلى أحدهم، كانت تخشى الكاهنة كثيرًا أن تموت في ذلك المكان الملعون ويموت سر الساحر معها، كانت تشعر الآن بنوعٍ من الراحة أن أحدهم سيكمل طريقها من بعدها، ولكن فجأة شعرت بنوبة من القلق حينما خشيت أن يموت كاو معها في تلك الأرض، ولكنها قالت على أي حال:

- بالضبط، روح الساحر ما زالت هنا غاضبة، تبحث عن جسد جديد يحملها، الساحر يبحث عن بعث جديد.

قال كاو متسائلًا بشكل استنكاري غاضب:

- كيف لا يرحل هؤلاء إلى الجحيم أو وادي القصب وينتهي الأمر؟

- ليست كل الأرواح صالحة للانتقال حتى للجحيم يا فتى.

تساءل ليل هذه المرة:

- وماذا سنفعل الآن؟!

أجابت الكاهنة وعقلها شارد قليلًا:

- لا أعلم، أخشى أنه لا يوجد سوى حل وحيد.

نظر لها العقرب متسائلًا:

- وما هو؟!

تنهدت لاميس ثم أجابتهم:

- أنا أسيرة هنا منذ عام ونصف، بعد مذبحة الكهنة المصريين، قاموا بها متعبدين إلى ذلك الساحر بعدما فرضوا سيطرتهم على الدولة والحكومة والفرعون البطلمي نفسه، يقال إن فارس الجليد يريدني بالاسم، هؤلاء أخذوني لأنني أمثل الجانب المفقود للساحر، أنا أحمل الشيء

الوحيد الذي يبحث عن ذلك الكيان الأسود.

صمتت الكاهنة فأردف كاو في تفهم:

- الخلود، إنهم يريدون جسدك لأنكِ خالدة.

- نعم، أنا سأكون الوعاء الجديد لذلك الشيء، وبذلك لن يحتاج إلى نقل روحه من جديد وبناء على ذلك الحل الوحيد للانتهاء من تلك اللعنة هو...

كان يعلم كاو ما يدور في ذهن الكاهنة فحاول قطع أفكارها:

- هي منع حدوث طقس انتقال الروح إلى جسدك.

ردت الكاهنة بحزمٍ شديدٍ:

- لا يا كاو، لا أظن أننا نستطيع منع ذلك، كلها سويعات وسيتم الأمر، هؤلاء يجهزون ذلك الأمر من سنوات أو محتمَل قرون، سيكون دورك أصعب من ذلك، أصعب من إيقاف الطقوس.

للمرة الثانية حاول كاو تفادي تلك النقطة في الحديث وبإصرار:

- حسنًا، حتى لو فشلنا في وقف الأمر سأنقذك وسأجد

حلًا لقتل تلك الروح واستعادتك من جديد.

قالت الكاهنة بعصبية شديدة:

- كاو، كفى أحلامًا وخداع نفسك، أنت تعلم ما يجب عليك فعله.

- لاميس، لن أفعل ذلك.

أضافت لاميس:

- يجب أن تقتلني فورًا قبل أن يتم الأمر، يجب أن تتخلص مني نهائيًا، اقطع رأسي وأفصلها تمامًا عن جسدي.

من جديد حاول العقرب إنكار الواقع والحل المنطقي للأحداث:

- أقطع رأسك؟ لن يحدث، لن أستطيع فعل ذلك.

- هذا الحل الوحيد!، أرجوك لا تجعلني أشر المخلوقات في تلك الأرض، دمرني!.. أيها العقرب أنا الشرير هنا، لو أصبحت شيطان تلك القصة لن أرحم أحدًا أبدًا. أيها العقرب، أحرقني ودمرني واقطع أوصالي إن لزم الأمر ولا تقل لأحد أن هناك قوى شريرة سيطرت على جسدي، أرجوك لا تجعل مني عاهرة المعبد!.. احفظ سري

وأخبِرهم أنني رحلت في سلام من أجلهم.

تذكر كاو أسرته الراحلة وما هو على وشْكِ المرور به الآن من فقدان الكاهنة الأقرب إلى قلبه، لا يصدق أنه مطلوب منه التخلي عن لاميس الطفلة الصغيرة ولاميس الخالدة الكبيرة.

- بالتأكيد هناك حل.

قالت لاميس بإصرار:

- الحل هو التضحية، الحل هو موتي.

صمت كاو محاولًا تجاهُل الأمر، فأضافت الكاهنة:

- سأقتل الملايين، سأدمر البلاد، أنا قوية بشكل كاف وباتحادي مع ذلك المخلوق سيعلم كل علوم السحر المخزَّنة في عقلي سيجعلني أقتل كل شيء أهتم لأمره حتى يطمس شخصيتي داخله، سيطارد الجميع..

استمر صمت كاو في حزنٍ شديدٍ فأردفت الكاهنة:

- ليس هناك حل آخر صدقني، يجب أن تقتلني، عدني أنك ستفعل ذلك!

بعين باكية قال كاو متوسلًا:

- لاميس!

قاطعته الكاهنة:

- أرجوك، عِدْني أن تقوم بالأمر وألا تخبر أحدًا أن هناك قوى شيطانية سيطرت على الكاهنة لاميس، لا تجعلهم يلقبونني بعاهرة المعبد.

العقرب حينما يئس من وجود حل آخر لتلك الأزمة:

- سأفعل ذلك.

- إياك أن تتراجع، هذا هو ثأرُك، ماتت أسرتك من أجل تحرير ذلك الكيان، اقتله فور تحريره، اقتله واقتلني معه!

صاح كاو في غضب:

- سأفعل.

أضافت الكاهنة للمرة الأخيرة:

- يجب أن ننهي تلك اللعنة إلى الأبد.

العقرب بصوت حاد:

- سأقتلك.

الكاهنة براحة وهدوء:

- هذا جيد.

***

تساءل نور الدين بفضول:

- لماذا أنتظر هؤلاء القوم عامًا ونصف حتى يقوموا بذلك الطقس؟!

أجابت مريم:

- لا تنسَ أن الكاهنة كانت مكسورة القدمين!، الكسور كانت مضاعفة واحتاجت إلى وقت طويل حتى تتعافى.

وهنا سألتها بنفسي عما قام بمهاجمة الكاهنة وتكسير عظامها فأجابتني:

- كان المقصود قتلها، ولكن المحاولة فشلت وساعد في ذلك خلود الكاهن، ومَن حاول التخلص منها كان يعلم كل ما يحدث، كان يعلم أنها مطلوبة من الساحر حتى

يسكن جسدها فحاول إبطال الأمر، ولكن الأمور فشلت ووصلنا إلى ذلك الحد الفاصل والخطير من الأحداث.. أعتقد أن من حاول قتل الكاهنة لاميس كان يعلم خطورة ما يحدث، يقال إن جماعة سرية حاولت إيقاف تلك اللعنة، جماعة تهدف إلى المحافظة على السلام والتوازن في العالم.

تساءل نور الدين عما حدث بعد ذلك في تلك القصة، فقالت مريم:

- بدأ تنفيذ الطقوس وإحياء الساحر من جديد..

***

أخذ الحراس الكاهنة وتوجهوا بها إلى جنوب القرية من أجل تحضير الطقس الأخير لحرية الساحر الأسير، تمكَّنَت آرم والصبي من الوصول إلى السجن ومن ثم تحرير العقرب وزميله، كانت آرم قلقة من كلمات الفتى عن خلوّ تلك المنطقة من أي حراس، ولكن الحظ كان حليفًا لهم.. وبالفعل فضول رؤية الطقس الأخير سيطرت على الجميع وظنوا أن الأغلال كافية لردع العقرب وليل، وتحرَّك الثلاثي سريعًا إلى موقع تجمُّع جميع سكان تلك القرية، الكل يشهد الطقوس الغريبة فلم يشاهد كاو مثلها من قبل، لاميس على ركبتيها مأمورة بالجلوس والنظر إلى الجثة المتحللة الجالسة أمامها بالوضعية ذاتها، جميع الكهنة

مثل آنو ويامي وغيرهم وبعض العاملين بتلك الطريقة يحيطون بالمشهد، أغلبهم ساجد والكثير خائف من نتيجة تلك العملية الشيطانية التي تحدث، الكاهن هود يقرأ مخطوطات قديمة بصوت جهور مرتفع، ولكن لغة كلماته كانت غير معروفة في تلك الأثناء، يحمل خنجراً في يده ويستمر في تلاوة تلك الصلوات ويتحدث بحماسٍ شديدٍ، يحاول بعض سكان القرية الذين تقبلوا الأمر الراهن والواقع وحاولوا التعايش في تلك القرية وأجواءها القاسية العنيدة اقتحام المشهد، ولكنّ الآخرين يتصدون لهم، يقول أحد القادمين الغاضبين من تلك الطقوس، كان رجلًا من العاملين بتلك القرية.

- إنه لم يرحمنا وهو أسير جسده، يا ترى ما سيفعله بنا إن منحناه جسد تلك المرأة، كفى غباءً.

آنو بغضب شديد:

- إذًا أنت تود أن تظل كالسجين إلى الأبد، ذلك الكيان يملك العلم كله والسحر كله والحياة كلها، لن ينسى أننا مَن منحنا له حريته، ذلك الكيان الأسود هو آخر سُلالة الأصوليين الأوليين..

قال الرجل الغاضب والذي اتضح أنه يدعى حوني ويعمل مزارعًا في تلك القرية:

- مَن قام بالتخلص من ذلك الساحر لم يهتم بتلك التفاصيل، يجب أن نرى الصورة بشكل أوضح، تخلصوا منه لأنه شر مطلق، يجب أن نتوقف تلك الطقوس في الحال.

ظلَّ الكاهن يستأنف طقوسه وكلماته، بينما انسحب آنو من المشهد واقترب من العامل الغاضب:

- رغم أنني أعارض منطق التضحية، ولكن فرضًا أننا فعلنا ذلك، ذلك اللعين سيجلب آخرين إلى هنا، سيظل في جذب الجميع حتى ينال حريته، طالما الشر قادم إلى العالم ولو بَعد حينٍ فلمَ لا نأخذ المجد معه؟

بصق العامل على وجه آنو الثالث فمسح الأخير وجهه براحة يده ونظر له:

- أنا أفهمك جيدًا، ولكن لا مكان للمثالية في ذلك العالم.

اقترب آنو من الرجل المتمرد ودسَّ خنجرًا في صدره فظل الأخير يتألم لحظاتٍ قبل أن يتخشب جسده وسقط جثة هامدة في الحال، كان كاو في تلك الأثناء مع ليل يراقبان المشهد عن كثب بعدما نجحت آرم في تحريرهما هذه المرة؛ فقد تسللت الأخيرة إليهما وجاهدت ألمها طويلًا وبصعوبة بالغة وصلت إليهما وفتحت أغلالهما، كان كلٌّ منهما يحاول البحث عن ثغرة للتوغل في قلب

الحدث وتحرير الكاهنة لاميس من تلك الطقوس، الوقت يمر رويدًا رويدًا، وبدأ اللون الأبيض يتلاشى من عيون الكاهنة لاميس، خرج شعاع ضوء بسيط من الجثة المتحللة إلى منتصف جبهة الكاهنة لم يتحمل ذلك كاو، ولم يفكر مرتين في تلك الأثناء، حمل سيفه المقوس في يده وهبط عليهم، حاول ليل منعه ولكن العقرب كان أسرع، سقط كاو على أحد رجال آنو وقتله في الحال ثم سحب خنجرًا من جيب الجثة وألقى بها على حارس آخر فسقط قتيلًا في الحال. التفت الجميع لوجود كاو بالمكان فحمل كلٌّ منهم سيفه وبدأت معركة، لم يتحمل ليل رؤية صديقه يقاتل سبعة مسلحين وحدَه فهبط سريعًا معه واشتد القتال أكثر والتحمت السيوف ببعضها البعض، سقط خمسة من حُرَّاس آنو، فقام الأخير بحمل فأس وحاول قتل كاو من الخلف ولكن ليل صرخ:

- كاو، خذ حذرك.

بسرعة انتبه كاو للأمر وقام بتفادي الضربة، ثم دسَّ سيفه في قلب آنو فسقط قتيلًا، اقترب العقرب من الكاهن هود وكاد أن يسحب منه المخطوطات التي يقرأ منها تعويذاته ولكن الأخير سبقه وألقى بالمخطوطات أرضًا ورفع كلتا يديه في استسلام وقال:

- الأمر انتهى أيها العقرب، الكاهنة لم تعد كما كانت من قبل..

نظر كاو إلى الكاهنة لاميس وهي تجلس على ركبتيها شاردة الذهن وقال موجهًا كلماته لها:

- لاميس؟!، لاميس هل أنت بخير؟!

قال هود بدلًا منها:

- أخبرتك، لاميس رحلت يا كاو.. هيَّا لنرحل من هنا قبل أن يستيقظ ذلك الكائن ويسيطر على جسدها بالكامل، وقتها لا نعلم ما يمكنه أن يفعل بها، هيَّا لنرحل من هنا قبل أن يفوت أوان ذلك.

اهتزت الأرض من تحتهم وهرول الجميع مبتعدين عن المكان، الكل يجري ناحية أطراف القرية ويتمنى أن تنتهي اللعنة الآن، والكل يغادر في سلام، اهتزاز الأرض يزداد حدة وبدأت بعض البيوت تتساقط. حاول أن يتحدث هود من جديد ولكن كاو صاح فيه وهو يشهر سيفه في الهواء:

- أنت تستحق الموت!، مثلك من تسبَّب في موت أسرتي.

تراجع هود خطوتين إلى الخلف:

- لا علاقة لي بما حدث مع أسرتك أيها العقرب، آنو

من قتل أهل بيتك وأنت قتلته الآن، أنت أخذت ثأرك، الأمر انتهى بالفعل!

تقدَّم كاو وبصوت حادٍّ:

- وحتى إن كنت محقًا، فعلتك هذه ستتسبب في موت المئات من الأُسَر الأخرى.

- لا يمكنني تقديم نفسي تضحية من أجل حياة الجميع.

- أنت مخادع!

اقترب كاو وكاد أن يفعلها هذه المرة، ولكن قام هود بإلقاء مسحوق ما على وجه العقرب فسقط كاو متألمًا بشدة وفقد بصره لحظات كافية هرب فيها هود من المكان بعدما استعاد العقرب بصره كانت لاميس ما زالت على الوضيعة الثابتة نفسها، اقترب منها وهو لا يصدق ما حدث، تذكَّر كلماتها حينما أخبرته إن ساءت الأمور أن يتخلص منها في الحال ويضع حدًّا لذلك الشر؛ اقترب منها وهو لا يصدق أنه من المفترض الآن قتل أكثر إنسانة أحبها قلبه، لا يصدق أنه في عشر ليالٍ سيفقد لاميس ابنته ولاميس الكاهنة.

- لاميس، أنا أعلم أنك تسمعينني.. قاومي ذلك الأمر أرجوك!

اقترب أكثر منها وكرر كلماته من جديد:

- لاميس، اطردي ذلك الكيان الأسود من داخلك، أنت أقوى من ذلك.

وهنا نظر إلى الضوء الذي يتحرك من الجثة المتحللة إليها وأسرع في الحال، وقام بتهشيم الجثة وأطار برأسها فسقطت أرضًا وتلاشى الضوء في الحال، تمنى لو أنه نجح في إيقاف الأمر، ولكن هناك مشاعر سلبية داخل قلبه تخبره أن الأمور ساءت بالفعل وأن لا سبيل للخلاص من هنا سوى موت الكاهنة لاميس إلى الأبد. سمع كاو الكاهنة تضحك نظر لها:

- هل أنت بخير؟!

نظرت له الكاهنة ولكن بعينين غير عينيها، نظرات تمتلئ بالشر:

- أنا بأفضل حال.

علمَ كاو أن المتحدث ليس بالكاهنة، ولكنه ذلك الكيان الأسود، صمت كاو يفكر ولكن الكائن تحدث على لسان الكاهنة:

- كان يجب أن تهرب من هنا مثلما أخبرك هود، أنت

مخطئ في بقائك، أنت تصعِّب الأمر في السيطرة على ذلك الجسد، عاهرة المعبد تحاول التحدث، تحاول أن تتلاعب في أفكاري، إنها غاضبة لا تهدأ أبدًا.

قال كاو بغضبٍ شديدٍ:

- يجب أن ترحل من هنا، يجب أن تترك جسدها وتترك ذلك العالم، إنه ليس مكانك الآن.

رد الكيان المظلم بصوت يحمل الكثير من المكر والخداع:

- ما رأيك أن نسمع صوت الكاهنة؟!

صمت كاو عاجزًا عن الرد، ذهب بريق عيني الكاهنة وتبدلت نظراتها الشريرة بأخرى خائفة مذعورة، وقالت إلى كاو:

- يجب أن تقتلني أيها الغبي!

هرول كاو ناحيتها، وكاد أن يتكلم ولكن لاميس لم تدعه يفعل ذلك، وقامت بسحب الخنجر القديم، وكادت أن تطعن نفسها ولكنَّ عينيها تبدلتا وجاءت النظرات الشريرة والبريق المخيف من جديد وضحك الكيان على لسانها بعدما استعاد السيطرة على جسدها بالكامل.

- ما أسوأ أن تموت بذلك الخنجر أيها العقرب!، يجب التخلص من أتباع تلك السيدة الجميلة حتى تكف عن محاولاتها في العودة، بحثت في ذكرياتها ووجدتك أنك الأقرب إلى قلبها.

رفعت لاميس يدها اليمين فانفجر ينبوع مياه أسفل أقدام العقرب وأطاح به بعيدًا ارتفع الكيان الشيطاني بجسد الكاهنة حاملًا العقرب سيفه في يده وكاد أن يقتل كاو، ولكن فجأة لم يقوَ على فعلها، كانت مقاومة روح لاميس قوية، كانت تقاوم الأمر، الكيان يحاول دسّ السيف في معدة العقرب ولاميس تمنع ذلك بصعوبة، وفي ذروة التحدي تمكنت لاميس من السيطرة على لسان جسدها وصاحت:

- اهرب من هنا..

سمع كاو الكلمات ولكنه لم يستطع فعل ذلك، نهض المحارب وأخرج سيفه وهو يعلم جيدًا أن ذلك دون جدوى؛ فلا وسيلة للتخلص مما يحدث سوى بقطع رأس الكاهنة حتى يتخلص منها، في تلك الأثناء تلاشت روح لاميس تمامًا وتمكَّن الساحر من السيطرة على جسدها بشكل نهائي، رفعت عاهرة المعبد خنجرها في الهواء، وعلى الجانب الآخر استعد كاو للهجوم، هرولت لاميس ناحية العقرب وهي تصرخ من الغضب فالتحم نصل الخنجر والسيف، ولكنَّ العقرب كان مدافعًا أكثر من كونه

مهاجمًا، كان يعلم أنه قادرٌ على طعن تلك الكاهنة في عدة أجزاء من جسدها ولكنه لم يفعل، كان يأمُل حتى اللحظة الأخيرة أن ينقذ كيانها وروحها من ذلك المخلوق الشيطاني المسيطر عليها، ظل يتخاذل ويصد الضربات فقط حتى تمكَّن الساحر من طعن العقرب بالخنجر في جانبه ولكن كانت طعنة سطحية غير قاتلة.

- بحقك يا لاميس يجب أن تتوقفي الآن!

قالت عاهرة المعبد.

- سأقتلك!

دارت جولة أخرى قتالية بين الساحر والعقرب، وظل الأخير يقاوم غيظه في قتل ذلك الكيان أو طعنه ولكن كاو تلقى طعنة جديدة في فخذه فصرخ على إثرها.

- لاميس، يجب أن تقاومي ذلك الشيء حالًا.

ردَّ الكيان الشيطاني:

- تلك العاهرة تلاشت إلى الأبد..

هجم ليل وآرم على عاهرة المعبد، وبدأت جولة أخيرة من القتال بينهما حاول كلٌّ منهما قتل الكاهنة بما داخلها من

كيانات شيطانية، احتد القتال وكان الساحر يقاوم الأمر ببراعة شديدة دفعت لاميس ليل بعيدًا عنها فسقط أرضًا جريحًا من جديد، وحينما اقتربت آرم تلقت طعنة قوية في جانبها فسقطت على إثره صارخة بحرقة.

استشاط العقرب غضبًا في تلك الأثناء، وعلم أنه لا مفر من قتل الساحر ولاميس معًا، تحمل آلام جانبه ونفذه وأخذ يهاجم بقوة هذه المرة، تراجع الساحر إلى الوراء وأخذ العقرب يتقدم نحوه وهو يحاول طعنه في كل أجزاء جسد السيدة الكاهنة، وفجأة، بخفة، تمكن العقرب من الوصول إلى رقبة السيدة ولكن لم يطعنها ونظر إلى عينيها مرة أخيرة لعله يجد أي بقايا من لاميس فيها، ولكنه لم يجد سوى روح مسخ تسطير على جسد الكاهنة، عزم على فعلها وإنهاء الأمر ولكنه فجأة سمع صوت ابنته تنادي عليه من الخلف، كان وقع الصوت عليه كصاعقة سقطت على رأسه، شتت ذهنه.. وبدون تفكير، نظر إلى مصدر الصوت، ولكنها كانت لحظة حاسمة كافية حتى يدس الساحر نصل خنجره في صدر العقرب.

نجح الساحر في التلاعب بعقل كاو، دفع الساحر جثة كاو بعيدًا ثم تشكلت حولة دوامة مائية تلاشى بداخلها، بينما صُعقت آرم حينما وجدت كاو ينزف والخنجر مخترق صدره، صاحت بحرقة وهرول ليل ناحيتهم لا يصدق ما يراه:

- بحق الآلهة ماذا حدث؟

نظرت آرم إلى ليل ولم تجد ردًّا على سؤاله، ثم نظرت إلى كاو هو يلفظ أنفاسه الأخيرة، لمست دماءه بأناملها، كان المشهد صادمًا ومخيفًا وشديد الحزن، سقطت دموع آرم بحرقة وأخذت تصرخ عدة مرات:

- أرجوك يا كاو، أرجوك.. لا يجب أن تموتَ الآن.

قال كاو بصوت متألم محتضر:

- لا تقلقي يا ذات الجمال.

قال ليل وهي يربت على كتف صديقه:

- لا تقلق يا صديقي، أنت تموت محارب، تموت بطلًا ورَجُلًا.

ابتسم كاو وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة وأخذ يتمتم باسم زوجته وابنته، ورفع يده في الهواء كأنه ينتقل إليهم حتى سقطت يده وانقطعت أنفاسه وتوقف قلبه عن الخفقان، مات العقرب لأنه رفض تنفيذ كلمات الكاهنة، كان يجب عليه قتلها حينما سمحت له الفرصة، ولكن يمكنني القول براحة شديدة أن تلك النهاية لآخر العقارب هي الأفضل، كان دومًا يودُّ ذلك الشاب اللحاق بأسرته

والابتعاد عن الصراعات، وأظنُّ أنه نجح أخيرًا في ذلك الأمر، وأعتقد أنه يتحرك الآن بحرية شديد في وادي القصب الجميل، أما عن الكاهنة الأسيرة داخل جسدها؛ فقد جلست لاميس بما داخلها من كيانٍ غامضٍ تحت شجرة هائلة وأمامها شعلة حطب مشتعلة في ظلمات الليل البارد، ظلَّ يلقي الساحر بقطع من الخشب في النيران حتى تزداد حدتها وهو ينظر إليها بشرود ذهن كبير، كانت الكاهنة لاميس لا تكفّ عن محاولة استرداد جسدها. تذكَّرَتْ المشهد الأخير حينما وقفوا أمام العقرب ونجح أن يقتله الساحر ولم تستطع لاميس منع ذلك عن طريق تحكمها بيده اليسرى، كما أنها وجدت أنها ترى بعين وتسمع بأذن الجانب الأيسر أيضًا، شعرت أن ذلك الجانب من الجسد هو نقطة ضعف الساحر مُحتمَل أنه حينما دمَّر كاو الجثة المتحللة فلم يتم ينتقل الروح بشكل كامل إلى جسدها ولكن بعد عددٍ من محاولاتها في تحريك يدها اليمنى، وجدت أنها لا تنجح دومًا في السيطرة عليها كأن الأمر يتطلب شرود ذهن الساحر قليلًا، تركيزه يمنع ذلك، كأنه يتحكم في عقله ويسيطر على كافة أعضائه من خلال ذلك الأمر.

رمقت لاميس النيران بالعين اليسرى وقامت بهزّة طفيفة في الأيدي اليسرى حتى تتأكد أن جسدها تحت سيطرتها بالكامل، وفجأة بدون تفكير طويلًا رفعت يدها في الهواء وأمسكت برأسها وكادت أن تهبط بها نحو النيران، ولكن الكيان الشيطاني قام بالاستناد على يده

اليمنى، ومنع وصول الرأس للنار وصاح في غضب من مقاومة لاميس التي لا تهدأ وتحاول دومًا استغلال أي فرصة للقضاء على جسدها بالكامل، ظلت لاميس تضغط على رأسها حتى تحرقها، والكيان يقاوم ذلك، رفعت لاميس يدها وتركت رأسها لحظات ثم هبطت على وجهها بلكمة قوية أطاحت بضرسين من ضروسها وسال شريط دموي على أحد خديها وسقط جسدها أرضًا، تناولت اليد اليسرى خنجرًا موضوعًا جوار الساحر وشرعت في الانتحار من جديد وتخليص روحها والقضاء على ذلك الكيان في ضربة واحدة، ولكن اليد اليمنى أمسكت اليد اليسرى قبل أن تهبط بالخنجر على حلقها، الكيان يصرخ مقاومًا ولاميس تصرخ داخل رأسها تحاول تنفيذ ما عزمت عليه، ومع تساوي الكتلة العضلية للذراعين كان الأمر دومًا ينتهي بالتعادل بينهم، قال الكيان على لسان الكاهنة:

- ذات يوم عشت لحظة ظننتها الأخيرة في حياتي، جاء رجل فقدَ عُقدَ زوجته، وبدلًا من أن يجد سارقه فقد أبناءه، لم تكن النهاية بل بداية لكل الأمجاد، أشعر باستيائك في كل نفسٍ أتنفسه عبر جسدك، للمرة الأولى أرى كل هذا المقدار من مقاومة العائل، أنتِ فعلًا مميزة وطالما كنت أبحث عن جسد مثل جسدك.

ظلت الكاهنة تحاول القضاء عليه:

- هل تظن أنني لن أتخلص منك؟!، لن أسمح لك

بالبقاء، وسوف أتخلص منك مهما كلفني الأمر.

سمع الكيان الكلمات ثم ضحك ساخرًا وردَّ عليها بصوت مستهزئ بشدة:

- ومَن سيفعلها؟ مَن سوف يطردني من داخلك بحسبك؟!، هل هو زوجك وأبناؤك الموتى؟!، أم كاو الذي قتلته في لحظة واحدة وهو يهرب بعيدًا عنك؟!، أم يا ترى هم جثث الكهنة؟!

فور أن سمعت الكاهنة عن أسرتها وكاو والكهنة، فقدت سيطرتها نسبيًا على يدها فحاولت ادعاء القوة، وقالت بصوت حاد وتهديد مصطنع بعدما استنزفت جهدًا كبيرًا في التحكم في لسانها:

- أنت ملعون!

نجح الكيان في السيطرة الكاملة على اليد اليسرى من جديد وقال بالنبرة ذاتها:

- أنا لم أفعل، بل أنتِ.

قالت لاميس وهي تحاول استعادة قدرتها من جديد، ولكن بصوت ضعيف هذه المرة:

- يجب أن نتوقف.

تجاهل الكيان كلماتها وقال مضيفًا:

- تخيلي معي الأمر، الكاهنة لاميس، كاهنة معبد آمون تقيم مذبحة لقتل جميع سكان الإسكندرية

بصعوبة شديدة قالت لاميس..

- لن أسمح لك.

مرة أخرى يتجاهل الكيان كلماتها كأنه لا يسمعها ثم قال:

- أعتقد أنه سيكون لقبك الرسمي داخل أسوار تلك الأرض هو عاهرة المعبد، لم يعد السَّحَرة فقط هم من يسمونك بذلك الاسم، بل الجميع.

حاولت لاميس التحكم في لسانها من جديد، ولكنها عجزت تمامًا عن الأمر فهمست داخل رأسه:

- أرجوك لا تفعل.

لم يتجاهل صوتها هذه المرة:

- أنتِ مصرَّة أنني الفاعل، أنت الفاعلة الحقيقية، طالما أخبرك الكاهن الأكبر حور ألا نتقربين من الناس،

أخبرك أنكم مصدر خطر على الجميع، أخبرك ألا تتزوجي فخالفتِ الأمر وقُتِل بسببك أسرتك كلها، أخبرك ألا تقعي في الحب؛ فصار كاو ملعونًا دومًا، أخبركِ أن تكون علاقتك مع الكهنة محدودة وفي إطار العمل بدون مشاعر ولكنك لم تفعلي ذلك وها هُم على وشك مواجهة مصيرهم.

لاميس داخل رأسه أو هو شعر أنها تسبُّه الآن:

- أنت ملعون.

بثقة وغرور وصوت حادٍّ يمتلئ بالشر:

- بل حُرّ، أنا حُرّ..

***

قالت مريم لي:

- بالتأكيد أنت تعلم الآن دورك في تلك الحكاية، وتعلم سبب وجودك هنا..

كنت لا أفهم حديثها جيدًا ونور الدين كذلك فقلت لها:

- ماذا تقصدين؟!

أجابتني مريم:

- النفق المظلم لا يقود إلى الموت بل الماضي!

- أنت أبي!.. أنت مَن سافر عبرَ النفق المظلم يوم تبدَّل الأطفال لم تمت بل عبرت إلى الماضي وأصبحت أنت الساحر.

ابتسمت مريم ولم ترد، أخشى أنني علمت ما كانت تود تلك السيدة منحه لي، أدركت أخيرًا ما السبب والغاية من حضوري تلك الجلسة، أدركت حينما علمت أنه لا يهم إن كانت تلك السيدة هي الكاهن لاميس نفسها أو امتداد لها، وأيضًا لا يهم إن قامت تلك السيدة بقتل أصدقائها بدم بارد، ولكن الأهم ذلك الكيان الذي يعيش بداخلها، ذلك الكيان الذي ظهرَ بعدما غادرت روح أبي ليس للسماء بل للماضي، نعم للماضي.

الكيان الذي يعيش في جسد لاميس ولاميس هي مريم الآن ولم تقتل الفتيات ولم تقم بغيرها من المذابح عبر التاريخ كان أبي تلك الروح البريئة التي تلوثت بدماء مئات البشر. أبي، ماذا فعلت؟! والأهم ماذا تنوي أن تفعل؟!

كنت أنظر إلى عيني أبي في داخل مقلتيه، ذلك الجسد الأنثوي المثير، علمَ الأب أن الابن فهم كل شيء؛ لذلك ابتسمت السيدة وقالت:

- أنت الآن تعلم كل شيء، راهنت عليك وانتصرت!

هنا قاطع الحديث نور الدين بفضول كان يحاول إخفاءه طوال الجلسة، لم يكن على عِلمٍ بما يدار الآن وكل ما كان يشغله أن يعلم المزيد من حكاية كاو وأصدقائه.

- بالتأكيد أن القصة لم تنتهِ بعد، ماذا حدث للكاهنة بعدما تلبسها ذلك الكيان؟

قمت بالرد بدلًا من السيدة مريم:

- إنها تجلس أمامنا وبداخلها الكيان نفسه، السيدة تريد إخبارنا أن ذلك الكيان هو من قام بقتل الفتيات وهو أيضًا من يتطلع إلى المستقبل بمزيد من الدموية، تلك الجلسة هي إعلان براءة الكاهنة لاميس من دماء تلك الفتيات وأيضًا تحذير لما هو قادم.

ردت لاميس أو مريم أو أبي لا أعلم المتكلم من يكون، ولكن ذلك الجسد الأنثوي نطقَ:

- لم أقل إنني سأخبركم سوى قصة كاو، والآن كاو مات.. إذًا انتهت الحكاية.

- بل مجرد فصل من الحكاية..

هكذا كان ردي عليها، فأومأت موافقة كلماتي، ولكن نور الدين كان لا يفهم شيئًا على الإطلاق ولم أحاول إخباره عن أمر أبي الذي صار يتحرك في الزمن ويعيش داخل البشر، العصبية سيطرت على نور الدين فقال:

- إذًا هذا كل شيء، هذا حقًّا هراء.. القراء لا يريدون تلك الحكاية، لن أكتب ولن أنسى تلك الكلمات، سوف تموتين والكل يعلم أنك مجرمة قاتلة.

قلت بدلًا عن أبي:

- إنها لا تهتم، لا تهتم بكل شيء على الإطلاق..

نهض نور الدين ورحل عن المكان بعدما طرق الباب عدة مرات ففتحت له السيدة وقالت إنه من الجيد أن نرحل الآن؛ فموعد التنفيذ يقترب بشدة، ابتعد نور الدين عن المشهد وهنا اقتربتُ من أبي وسألته:

- هل سوف يتم إعدامك؟!

أجابني أبي على شفتي تلك السيدة:

- أخبرتك أنه لا أحد سوف يموت تلك الليلة..

سألته من جديد:

- هل لاميس تشاركك الإحساس بجسدها؟!، أم أنها مُخدَّرة أو ماتت يوم اقتحمت جسدها وصارعتها أمام الشجرة؟

ردَّ أبي باختصار..

- العلاقة بيني وبين ذلك الجسد وروحه الحقيقية معقدة، محتمل أن أحكي لك في وقت آخر..

وهنا جاء موعد السؤال الأخير والأهم:

- أبي، ماذا تريد مني؟!

ابتسمت السيدة وقال أبي:

- أريدك أن تدخل النفق المظلم ومن ثم تقتحم الضوء الأبيض!، الضوء ليس بوابة الموت لكن بوابة انتقال، انتقل والتحق بي وسوف تكون خالدًا مثلي..

لم أرد ورحلت عن الزنزانة أخيرًا وكلمات أبي لا تغادر أذني، قبل خمسة أيام ساءت حالتي كثيرًا، وتم نقلي إلى المستشفى وأحد الأطباء بدأ التحدث سرًّا مع صديق له عن اقتراب موتي، الوباء تفشى في كامل الرئتين وصارت أنابيب الأكسجين في جسدي تتضاءل بشكل ملحوظ، أعتقد أنني سأنفذ كلمات أبي تلك الليلة وسأدخل الضوء

الأبيض وإن صدقَ تعبيره أن تلك البوابات مجرد فجوة في الزمان، لن ألتحق به كما طلب مني فقط سأحاول إيقافه عن بث الشر في كل حقبة زمنية عاشها، طالما الموت دنا مني سوف أجعله مثيرًا يستحق الاهتمام، أكتب قصتي وأنا أعلم أنها النهاية، سوف تجدون جثتي قريبًا، ولكن أنا لست بميت بل أعيش قبلكم بقرون عدة!

إلى اللقاء يا رفاق

كان معكم

عابد أديب عابد

نُشِرَت تلك الكلمات عبر مدوَّنة الروحاني

منتصف يونيو ٢٠٢١

***

إنها فرصتك الأخيرة يا ابن الظلام!
الحلقة الخامسة: النهاية!

نُشرت هذه الحلقة بواسطة نور الدين

ليست من عاداتي وخصالي إكمال أسطورة بدأ بها شخص آخر، فأنا أؤمن أن كلماتي كسفَرٍ من الأسفار المقدسة لا يليق بها استئناف حكايات الآخرين، خاصةً لو كانوا أمثال سليط اللسان ومعدوم الأخلاق عابد أديب، طوال مشاهد حكاياته يحاول الاستهزاء بي، والسخرية من كلماتي وهيئتي بل وصنعَ مِن نفسه إلهًا يدرك ما يدور بداخلي من نوايا وصفَها هو بالخبيثة والمتطلعة نحو الشهرة والمجد الزائف، عابد أديب حسب ما رأيت وعلمت عنه أثق تمام الثقة أنه لا يتمتع بقدرٍ كبيرٍ من السلام النفسي والداخلي كما أن الحقد يملأ قلبه ولكنه ينكر ذلك، أخشى أنني لم أكن متابعًا وقارئًا جيدًا إلى كلمات ذلك الراوي في بداية كلماته. في البداية حاولت النظر إلى كلماته بنوع من الاهتمام لكوني جزءًا من الحكاية، نجح في الوهلة الأولى بث نوع من الفضول داخلي حتى أنظر إلى حياتي من خلال نافذة أخرى، أول مرة أرى ذاتي في عيون الآخرين، الكارهين، الحاقدين، أنا سمين وثقيل الظل والحاقد، بل أيضًا وحاسد ومريض بجذب الاهتمام، تلك هي صفاتي وملخَّص حياتي في نظر الكثير، انتظرت وقوع

عابد في أي خطأ أو إساءة تجاهي حتى أقاضيه وأجعله عبرة لمن تسوِّل له نفسه للفعل ذاته، ولكن طال انتظاري، كان الراوي حريصًا في كلماته بشدة، وظل يتحرك على شفى حفرة وخيط ضئيل ما بين النقد والسباب، لديه القدرة والبراعة على سبِّي وإهانتي بدون أن يتفوه لسانه بذلك، لاحقًا وعدة مقالات له نسيت صراعنا ولم أعد أنتظر زَلات كلماته ولسانه وخطفني عابد بحكايته وصرت أتابع بشغف شديد رغم أنني أعلم الحكاية كلها، وكنت حاضرًا ولكنني حينما قرأت حلقات عابد شعرت أنني كحاضر غائب في تلك الجلسة، كأن القدر سخَّر وجودي هناك في تلك الليلة حتى أكتب تلك الكلمات الآن، وأسجل الحلقة الأخير في تلك الحكاية.

عذرًا أنني كذبت من قبل وأنكرت وجودي تلك الليلة وادعيت كذب الراوي، خشيت أن يسرق أحدهم مجدي كما أنني خشيت المساءَلة القانونية عن اقتحامنا أسوار السجون في ظلمات الليل ودفع الرشوة للعاملين هناك، ولكن لم يعد لذلك أهمية الآن.

من أين أبدأ؟!

أظنني سأبدأ عند اللحظة التي توقف فيها المدوِّن الراوي عن تدوين كلماته وتلاشى بأسراره عن جمهوره، قال عابد في آخر حلقاته وذكرياته، إنه اكتشف أمرًا غريبًا في نهاية سرد كلمات القاتلة مريم أو لاميس الخالدة عابرة

الأزمان بما يعيش بداخلها من كيان مظلم شيطاني، مريم هي نفسها الكاهنة الخالدة، نفس الجسد المحتل من الكيان الشيطاني والروح المطموسة بداخلها، أخبرنا أننا لم نكن نتحدث سوى مع ذلك الساحر الذي ما زال يعيش داخل جسد الكاهنة، ولكن نحن على علم أن ذلك الأمر لم يكن مفاجأة هائلة بل متوقَّع منذ أحداث الحلقة الثالثة وأي متابع لو كان على تركيز متوسط كان اكتشف الأمر دون عناء كبير، ولكن الأمر المثير حقًا وغريب أن يكون ذلك الساحر الذي عاش مئات السنين واحتمال آلاف، يكون هو أديب نفسه والد عابد الذي توفى قبل ثلاثة عشر عامًا في تلك الواقعة الغريبة حينما تبدَّل ثلاثة أطفال بثلاثة آخرين قادمين من أمدٍ بعيدٍ.

هنا أصبحنا نعلم بدون شَكٍّ أن أديب الأب عاد للماضي في تلك الليلة المشؤومة وقام بتعديل الخطأ واسترجاع الأطفال الضائعين في الماضي ومن ثم ضلَّ طريقه للعودة، تحولت شخصيته إلى الشر وباع روحه للشيطان وتقلبت الأقدار وأخذ يتخذ من أجساد البشر موطنًا له، أي عاش طفيلي ينتقل من وعاء بشري إلى آخر، وأظن أن انتقال الوعي هي قدرة اكتسبها حينما سافر عبر الزمن.

هذا ما نعلمه الآن كلنا، هذا هو اليقين في تلك اللحظة.. ولكن أخشى أن تلك الكلمات ليست دقيقة تمامًا، الأمر كان معقدًا أكثر من ذلك!

حينما تأخر عابد في نشر الحلقة الخامسة أسبوعين كاملين شعرت بالقلق والفضول تجاه اختفائه، لم أكن أعلم عنه سوى رقم هاتفه وكلما حاولت التواصل معه كنت لا أحصل على أي إجابة من جانبه، كأنه سراب لا وجود له، حاولت البحث عبر مدونته عن أي معلومات شخصية ولكن لا جديد، لا شيء على الإطلاق، كان ذلك عابد حقًا قليل الكلام، لم تعرف عيناي للنوم سبيلًا من فرط القلق والفضول وصوت عقلي لا يردد سوى تلك التساؤلات الثلاثة:

أين أنت يا عابد بحق الجحيم؟!

إلى أين ذهبت؟!

يا ترى إلى أين قادك عقلك الضئيل؟!

تواصلت مع صديق يدعى آدم، التقيت به سابقًا في تحقيق مثير عن شخص يهوى الاعتراف وقتل البشر، وكان آدم يمتلك قدرة عجيبة في التجسس على البشر واقتحام خصوصيتهم، أخبرته أن هناك شخصًا مفقودًا أريد الوصول إليه وأخبرته كل شيء أعلمه عنه؛ فجاء رده بعد ساعتين حينما أخبرني عن مكان تواجد هاتفه.

- نور الدين هاتف الرجل المدعو عابد أديب متواجد أعلى جبل المقطم، سأرسل لك الموقع حالًا، أخشى ألا أكون

الآن مشاركًا في جريمة ما، أرجوك لا أريد استدعاء من النيابة بعد أيام قليلة، كفى جنونًا يا صديقي رحمك ورحمنا الله.

هنا همست داخلي أن الجريمة حدثت بالفعل أيها الهاكر، هناك شَرٌّ مُطلَق أخشى أنه حرٌّ ويسعى إلى بث طاقته السوداء في كل مكانٍ، ليرحم الله أرواحنا، أب مجرم وساحر وعابر الأزمان يعيش داخل جسد كاهنة خالدة وابن ضائع لا نعلم عنه شيئًا.

بعد قليل من الوقت كنت في طريقي إلى المكان، أخذت أتحرك بدقة شديدة وعيني تراقب الخريطة على الهاتف، في طريقي تكاثفت الذكريات على رأسي وأخذت أتذكر حياتي بما حدثَ فيها من منحيات عالية ومنخفضة، تذكرت لحظات نجاحي ومِن بَعدها دهور من الفشل، تذكرت زوجتي ومِن ثم طلاقي ووحدتي تذكَّرت أول وهلة اقتحمت فيها عوالم ما وراء الطبيعة، وأخذت أبحث خلف العوالم المُظلمة ورؤيتي الأولى للكيانات الخفية، تذكرت أول صوت همس في أذني نحن نراك! وبعدها تذكرت كلمات زوجتي وهي تسبني وتلعنني وتتهمني بالجنون والكفر والإلحاد.

همس في أذني صوت في تلك اللحظة:

- أما زلت تسمعني؟! أنت تحاول دائمًا تجاهلي، ولكنني

جوارك وسأظل كذلك إلى الأبد..

أخذت أتجاهل الصوت كما أمرني الأطباء، وبحثت في السيارة عن الأقراص المضادة للهلوسة، ولكنني لم أجدها؛ فعلمت أنني سوف أكون لقمة يسيرة في أيدي خيالات عقلي أو حقائقه لا أعلم، همس الصوت من جديد:

«نور الدين.. كلانا يعلم أن صوتي ليس خرافة ولا جنونًا بل هي الحقيقة. «

تجاهلت الأمر من جديد وقمت بزيادة سرعة السيارة أكثر لعلها تنقلب وتنتهي حياتي البائسة، ولكن الصوت همس داخلي هذه المرة:

- رويدًا يا صديقي رويدًا، لا يجب أن تموت الآن؛ فأنا مستمتع حتى تلك اللحظة بما يحدث، أتعلم أنها المرة الأولى التي يسيطر الفضول عليَّ حتى أعلم ما تخبئه لك الأقدار، عابد وأديب قصة مثيرة للغاية، الحيرة بين شرٍّ وشرٍّ آخر، عابرين الأزمان، وسع مداركك يا نور الدين حتى ترى ما يحدث حولك جيدًا.. سوف أراك مجددًا يا صديقي القديم!

حسنًا أنا مريض أو هكذا يقول الأطباء عني، يقولون إنني أرى وأسمع أشياء لا وجود لها ولكن هذا ليس موضوعنا الآن قمت بتشتيت ذهني وانغمست في أحداث

العقرب الأخير وكم كنت أحسده على موته في ميدان المعركة ولحاقه بابنته وزوجته، كم كنت أتمنى في تلك اللحظة أن ألقى المصير ذاته في أقرب فرصة ممكنة، حتى عقلي صار يأمرني في تلك اللحظة أن أترك فضول البحث عن عابد الابن الضائع وأنحرف عن مسار الطريق وأهبط بالسيارة من أعلى الكبري وتنتهي حياتي، ولكنني لم أفعل ذلك، أنا لست عقرب الفرعون، أنا مجرد ذبابة تعيش في ذلك العالم، ذبابة وحيدة بلا أسرة، بلا أصدقاء، بلا أي شيء.

حينما وصلت هناك وجدت رجلًا يرتدي جلبابًا رماديًا ويمتلك لحية طويلة غير مُهذَّبَة يقف على الجبل ينظر إلى أضواء القاهرة في شرود ذهنٍ شديدٍ، اقتربت منه فوجدت شابًا ساقطًا أرضًا جواره، تسارعت دقات قلبي بخوفٍ شديدٍ، اقتربت أكثر فكان ظني في محلِّه، كان الشاب الساقط أرضًا هو عابد نفسه، هرولت ناحيته بخوف شديد:

- عابد!.. عابد ماذا حدث؟!

لم يستجب عابد إلى ندائي فاقتربت منه أكثر وحاولت لمس كتفه حتى أجذب انتباهه، ولكن جسده كان شديد البرودة، كان عابد مفارقًا الحياة تمامًا، كان الرجل الآخر ذو اللحية الطويلة غير المهذبة يتجاهل تمامًا ما يحدث حوله فنظرت له وصحت فيه:

- يا رجل، منذ متى وأنت واقفٌ هكذا؟! ولماذا تقف هكذا بجواره ولم تطلب له الإسعاف أو المساعدة؟!

رمقت في أيدي الرجل الغريب ذي اللحية هاتفَ عابد.

- ماذا تفعل بحق الجحيم؟!، لماذا تمسك هاتف عابد في يدك؟!

نظر لي الرجل فبدت لي ملامحه أكثر، كان رجلًا ستينيّ العمر، يمتلئ وجهه بالتجاعيد، كانت ملامحه مألوفة لي، كنت أشعر أنني رأيته من قبل، وفجأة تذكرته.

- أنا رأيتك من قبل، قبل زمنٍ بعيدٍ، أنت ذلك المجذوب، أنتَ القدر، ذلك الشخص الذي أنقذ حياتي ذات يومٍ!، ولكن أنت اختفيت يومها.. تبًّا ما الذي يحدث بحق الجحيم؟!

حسنًا، كان ذلك الموقف قبل عدة أعوام حينما كادت سيارة أن تهشم عظامي لولا ذلك العجوز الذي دفعني بعيدًا عنها، موقف بسيط ويحدث كثيرًا ولكنني أتذكره جيدًا لأن العجوز حينها أخبرني أننا سوف نتقابل من جديد وأنني مدين له وحتمًا سأرد الدين وحينما سألته عن اسمه أخبرني أنه القدر! ابتسم العجوز لي وانحسرت تجاعيده على جانبي وجهه وقال:

- أنقذتك قديمًا لأنك حجر هام في معادلة القضاء على سيد الجليد، أنقذتك لأنه لولاك ما كان تم أي شيءٍ على الإطلاق.. إنه القدر وأنت جزءًا منه، أنت الحلقة المفقودة في التخلص من الساحر الذي يستحوذ على أجساد البشر، أليس الساحر الآن داخل جسد الكاهنة لاميس؟!

تبادلنا النظرات لحظات، كنت أحاول فهمه ولكن إشاراته كانت غير واضحة، لم أعلم مقصده تحديدًا، فسألته غير مبالٍ بالأمر:

- أنا لا أهتم بتلك الألغاز، ماذا حدث لعابد أديب؟! هل لك علاقة بموته؟!

لم أنتظر إجابة من الرجل ونظرت إلى جثة عابد وقلت له في حسرة شديدة:

- كان من المفترض أن تنشر الحلقة الخامسة من قصتنا، أنت حكيت كل شيء ولكن أعتقد كان هناك حلقة أخيرة لكشف الكثير من الأمور، أخشى أنها الأمور التي لا أعلمها أيضًا.

اقترب العجوز مني وربت على كتفي قائلًا:

- ما يحدث الآن هو الحلقة الخامسة، ما تشاهده حالًا هي نهاية الحكاية كلها.

نهضت من مكاني ونظرت له متسائلًا:

- ماذا تقصد؟!، كفى أحاجٍ وتحدّث بوضوح.

التف الرجل ونظر بعيدًا نحو أضواء القاهرة:

- حسنًا، دعنا نبدأ من لحظة النهاية، اللحظة التي اكتشف فيها ذلك عابد، أن من تحدث معكم داخل السجن هو أبوه نفسه، هو أديب..

***

في تلك الليلة ذهب عابد إلى السجن من جديد، وهناك تواصل بطريقة ما مع تلك السيدة التي سمحت لكم بالتوغل داخل أسواره، تفاصيل لا تُنسَى يا ابن الظلام، أليس هذا هو لقبك المفضل؟، يومها وقف عابد لا يعلم كيفية بدأ الحديث، ولكنه تكلَّم في النهاية وتساءل بشكل واضح:

- هل تم تنفيذ حكم الإعدام في تلك القاتلة؟! الكاهنة لاميس أقصد مريم، مريم التي قتلت أصدقاءها بدم بارد.

حاولت السيدة التهرب من الإجابة وحينما حاصرها عابد فلم تجد مفرًّا منه سوى بالكذب.

- بالتأكيد يا هذا، تلك العاهرة القاتلة في الجحيم الآن!،

مؤكد أنها هناك.. بالتأكيد مطلع على كل شيء ولن يتركنا..

ولكن بعدما قام عابد بمنحها مظروف به ثلاثة آلاف جنيه، الأمر تغيَّر وصارت الأخيرة تنطق بالحق هذه المرة.

- حسنًا، ولكن ما سوف يقال الآن لا يمكنك نشره.. لأنه في البداية لن يصدقك أحدٌ، وسوف تكون مصدرًا دائمًا للسخرية، واحتمال الجنون، وأنا سأنكر أنني تقابلت معك وأنت لن تجد السلام في حياتك بعدها، هؤلاء سحرة والسحر مذكور في القرآن، وأنت بالتأكيد تعلم ذلك، ليس من دورنا تفسير كل شيء يحدث لكن العجائب حولنا في كل مكان، ما علينا، أنت جئت حتى تعلم إن كانت السيدة ماتت أم لا، والإجابة المختصرة الواضحة أنه لا، ليس هناك تفاصيل كثيرة للأمر صدقني، كل ما نعمله نحن أنه بعد رحيلكم من السجن جاءنا اتصال من عشماوي وقام بالاعتذار عن المجيء، أخبرنا في تلك اللحظات أنه يمر بوعكة صحية شديدة، ولذلك تم تأجيل الأمر لمدة يوم آخر ويا ليتهم ما فعلوا ذلك.

تساءل عابد بفضول شديد عما حدث بعد ذلك وأضافت السيدة مختصرًا حديثه هذه المرة أكثر:

- لا عليك مما حدث، رأينا أهوالًا جميعًا هنا داخل السجن، كانت تطوف في المكان ولا يمنعها أسوار ولا

حواجز، كادت أن تقتل أكثر من جندية وشرطية نسائية حتى عشماوي نفسه لم يسلم من يدها ولكن لا أعلم، كأنها تقاوم نفسها، كان بداخلها شخصان، أقسم إنني كنت أرى يدًا تحاول طعن صديقة وأرى اليد الأخرى تتصدى إلى ذلك، لا عليك.. الإجابة عن سؤالك أننا لم ننفِّذ الإعدام، والسيدة هربت ولن يبحثوا عنها من جديد، وتم مسح كل تصوير الكاميرات وإزالة كل الأدلة عما حدث بما فيهم التسجيلات التي توضح دخولكم السجن تلك الليلة.. الأمر انتهى أيها الصحفي إلى الأبد، وإن تقابلت مع نور الدين من جديد أخبِره أنني لا أود أن أرى وجه الشؤم مجددًا.

وهنا تساءلت السيدة عن سبب اهتمام عابد بتلك القضية إلى هذا الحد، ولكن عابد تجاهل الإجابة ورحل عن المكان بعدما تأكد من ظنونه وشكوكه، وأن العالم كله على أعتاب موجة هجوم جديدة من كيان مظلم مخيف، وكان متعجبًا من نفسه كثيرًا كلما وصف أباه الخلوق الطيب، بالكيان الشيطاني.

***

توقف العجوز ذو اللحية عن سرد الحكاية.

- ولكن نشر في الجرائد الإلكترونية أنه تم إعدام القاتلة بعد ساعات بسيطة من انتهاء لقائنا.

هذا كان ردي على كلمات ذلك الغريب، كنت حائرًا مما أسمعه ولكن لم أكن أعلم أن تلك الكلمات السابقة هي البداية فقط، وأن الأحاديث القادمة أشد خوفًا وذعرًا، وأن كلمات عبارة أننا على أعتاب موجة شيطانية جديدة ليست بالأمر المبالَغ فيه، هذا ما يحدث حرفيًا، على جانبي نظرت إلى سيارة يختلي بداخلها أحد الشباب بفتاة ليل وتمنيت لو هرولت إليهم وأخبرتهم بضرورة الرحيل الآن، والخوف مما هو قادم ولكن قاطع أفكاري ذلك الرجل.

- لم يحدث ذلك، وتم تزييف الأمر، أنت تعلم قضية تلك القاتلة كان يتابعها الجميع وهروبها في اللحظة الأخيرة كان سيسبب متاعب كثيرة، هناك من جلب جثة لإحدى السيدات المجهولات في المشرحة وقاموا بدفنها عوضًا عن الكاهنة وهكذا أغلق الأمر إلى الأبد.

سخرت من كلماته:

- ومَن قال إن المتاعب لن تحدث؟

صمت كلانا لحظات بعدها تساءلت من جديد:

- ماذا لو ظهرت مريم من جديد أو قامت بجريمة ثانية؟!

أجاب الرجل بدون أن يفكر في الإجابة:

- لا أعلم، ولكن يمكن اعتبارها الأخت التوأم مثلاً!

أومأت في تفهم أو متجاهلًا الأمر كله، فلمَ تلك القضية هي الأهم الآن؟ نظرت إلى جثة عابد الملقاة على الأرض.

- ما علينا، أكمِل، ماذا حدث بعد ذلك؟

همهم الرجل بكلمات غامضة:

- هذه المرة لم يعد عابد يخشى الأضواء كما كان...

- ماذا تقصد؟!

- بالتأكيد أنت تذكر الحديث الذي طال بين عابد وأبيه أديب حول النفق المظلم والضوء الأبيض، وكيف كان ينهي الأب ابنه عن التوغل في ذلك الضوء، كان الدرس كله عن كيفية التحكم في الرغبة الشديدة الملحة التي تجذبك نحو ذاك الضوء لما سوف تراه بداخله من أحبابكم الذين فارقوا الحياة، الضوء سوف يحاول إقناعك أنه بوابة النعيم ولكنه ليس كذلك. حينما جلس عابد وحده يفكر عن سبب رحيل والده ثم عودته في هيئة جديدة مختلفة تمامًا، أخذ يعتصر أفكاره حتى يحلل الأمر، ويتساءل عما حدث في تلك اللحظة المثيرة، حينما توغل داخل النفق المظلم بحثًا عن الأطفال الضائعين، وهنا لم يجد إجابة

سوى الضوء الأبيض، علم عابد أن تلك الهالة البيضاء لها دور كبير فيما حدث، أخذ يحلل الأمر ثم توغل في شبكات الإنترنت واستعرض عدة مقالات عن تلك البقعة البيضاء داخل الأنفاق المظلمة والكل تحدَّث أن ذلك الضوء هو بوابة الرحيل إلى العالم الآخر ما عدا رجلًا يدعى آسر يونس وهو مذيع برنامج الغراب الأسود للحكايات والمقالات الغريبة وما وراء الطبيعة؛ فقد تحدَّث الرجل أن ذلك الضوء فجوة في الزمان يمكنك العبور خلالها إلى مكان وزمن آخر فبدا الأمر منطقيًّا إلى عابد في تلك الأثناء، بدأ يدرك الأمر جيدًا أن الأب حينما ذهب بحثًا عن الأطفال الضائعين لم يستطع هذه المرة مقاومة الضوء الأبيض فتوغل فيه مستسلمًا وهنا حدثَ الشيء مثير؛ فالأب مات في حاضرنا ولكنّ روحه أو وعيه هربا إلى مكان آخر في زمن آخر وعاش سنوات طوال جدًّا حتى وصل إلى زمننا من جديد، ولكن بوعي أكثر إدراكًا وخبرة لا تنتهي، والباقي أنت تعلمه بكل تأكيد.

نظر الرجل إلى جثة عابد بيأس واستأنف حديثه:

- لم يقاوم الابن كثيرًا وبدأ في طقوس الرحيل وخوض تجربة أبيه بكل حذافيرها، برر فضوله أنه ذاهب من أجل حماية والده من نفسه، أراد أن يردع أباه في أي زمن من الأزمان التي عاشها أديب ولكن الفضول هو المحرك الرئيسي لعابد في تلك الأثناء، وحدث ما حدث وها هو أمامك جثة هامدة ولكن وعيه عبر نحو زمن آخر تمامًا،

زمن شديد القدم، يخوض تجربة لا نعلم نحن مدى قسوتها وخبرتها أو أنا أعلم مدى قسوتها، أنا فقط.. أنا الوحيد.

قلت بصدمة كبيرة وأنا أنظر إلى جثة عابد الملقاة على الأرض:

- يا إلهي، عابد غادر الحاضر وذهب إلى الماضي!

ردَّ ذو اللحية براحة هذه المرة:

- رحلَ إلى الماضي حتى يبدأ فصلًا جديدًا، فصلًا مخيفًا وأكثر إثارة عما حدث..

سألت الرجل بفضولٍ شديدٍ:

- وهل أنت تعلم ماذا حدث بعدما رحل عابد عبر الضوء الأبيض إلى الماضي؟! وكيف علمت ما كل تلك التفاصيل؟! كيف علمت بتحركات عابد إلى السجن وانتقاله إلى النفق؟!

- أنا وابني متصلان بشكل ما مع بعضنا البعض.. لا أعلم الكيفية صدقني، محتمل أنها قدرة اكتسبتها من أطلانطس.

شرد ذو اللحية لحظات وبعدها بدأ في السرد:

***

حينما فتح عابد عينه وجد الضوء الأزرق السماوي هو المهيمن على المكان، حوائط وأسِرّة ومقاعد وغيرها من الأمور الغريبة غير المفهومة، رمق المكان بعينيه ونظر حوله متسائلًا عن أي زمنٍ هذا بحق الجحيم؟!، للوهلة الأولى حسب أن الضوء الأبيض أخذه نحو المستقبل بدلًا من الماضي، ظن أن ذلك الضوء العجيب هو ثغرة في الواقع تلقي بنا في أزمنة أخرى بصورة عشوائية، لا داعي أن أخبرك أن عابد كان عاريًا تمامًا ولكن الأغرب من ذلك ما شاهده حوله، رأى عشرات الأجساد البشرية العارية مختلفة الأجناس والأشكال كل منهم موضوع داخل تابوت معلَّق على الحائط، به سائل شفاف، تلك المشاهد كانت تؤكد له أنه حقًا في المستقبل، المكان قادر على إثارة الفضول داخلك بشكل غير طبيعي، أخذ يمشي في المكان الذي يشبه معملًا أو مختبرًا هائلًا، في نهاية الممر رأى أحدهم ولكنه غير هؤلاء، كان يقف أمامه وينظر إلى عابد بلا خجل، اقترب منه أكثر فقام الرجل بالاقتراب هو أيضًا، شعر عابد بالتردد في تلك اللحظات، عن التصرف الصحيح الواجب فعله، ولكنه أخذ يقترب منه والآخر أيضًا يقترب حتى كاد أن يتلامس كل منهما مع الآخر وهنا وجد عابد عازلًا شفافًا يفصل بينه وبين ذلك الغريب الآخر، لا لا لم يكن هناك أي حواجز بينهما بل الحاجز مرآة وذلك الغريب الذي ينظر إلى عابد هو مجرد انعكاس له، نظر عابد إلى هيئته الجديدة الغريبة وهمهم متحدثًا إلى

صورته في المرآة:

- مَن تكون بحق الجحيم؟!، وما يكون هذا المكان؟!

وهنا كانت صاعقة أشد حينما أجاب الانعكاس بحرية شديدة ساخرًا:

- انعكاسك الحُر يا صديقي، لا تخف أنا أعلم أن في زمنك لم ترَ شيئًا هكذا من قبل، ولكن صدقني هذا ليس أغرب شيء، محتمل أن تراه في ذلك الزمان.

اقترب عابد وأخذ يتلامس مع سطح المرآة، وكاد أن يفقد عقله من فرط عبثية ما يحدث أمامه، تساءل من جديد:

- نحن في أي عام يا هذا؟!، حسبت أن الضوء الأبيض يلقي بنا إلى الماضي فقط وليس المستقبل!

صمت عابد منتظرًا الرد من انعكاس هيئته في المرآة فلم ينتظر طويلًا.

- حيث لا زمان، أنت الآن خارج الحدود كلها، أنت داخل نقطة البداية.. البذرة.. من هنا انبثق كل شيء يا صديقي.

- تكلم بوضوح، لا أفهم أي شيء على الإطلاق، أين أو متى نحن؟!

جاءت الإجابة من الطرف الآخر أكثر وضوحًا هذه المرة، ولكنها أخافت عابد بشدة.

- أطلانطس.. تلك الأرض تدعى أطلانطس يا هذا!

همهم في ذهول:

- يا إلهي!

***

توقف ذو اللحية عن السرد فسألته في الحال:

- وماذا حدث بعد ذلك؟!، وكيف تعلم كل التفاصيل؟! هل أنت عابد؟!

أجابني ببرود..

- بل أبوه.. أنا أديب نفسه أيها الغبي الأحمق، فقط اهدأ لكي تصل إلى تلك اللحظة يجب أن تعلم كل شيء بترتيب حدوثه..

كانت صدمة بالنسبة لي تلك الكلمات فأخذ عقلي

يتساءل عما يقصد ذو اللحية بكونه أديب نفسه ما معنى هذا؟! أليس من المفترض أن يكون أديب الآن داخل جسد الكاهنة لاميس؟! وبعيدًا عن أديب الآن أين يا ترى عابد بحق الجحيم؟! لم أجد مفرًّا سوى تحمُّل كلماته إلى النهاية فأومأت:

- حسنًا.

فبدأ ذو اللحية بالحديث من جديد...

***

سمع عابد في تلك اللحظات الحرجة من حياته خطوات أحدهم يتقرب من ذلك المعمل فقرر التحرك سريعًا والاختباء في أي مكان بعيدًا عن كل شيء وهنا كانت الصدمة الثانية له حينما رأى أحدهم يدخل، كانت هيئته غريبة جدًّا، إنسان بدون شك ولكن مختلف عنا كأنه نسخة شديدة التطور، له شعر أبيض وله ذقن مشذبة من اللون ذاته، عيناه خضراوان بشكل لافت ولها بريق مميز، يرتدي رداءً طويلًا يشبه ملابس المصريين القدماء، ولكنه نسخة متطورة تمتلئ بالأنوار وغيرها من الأمور، في تلك اللحظات الذهول والفضول يأكل عابد أكلًا حتى يكتشف هذا العالم أكثر وأكثر، ولكن في وهلة تذكر أباه وما جاء به إلى هنا في الأصل، وأخذ يفكر لو أن أباه في ذلك المكان يا ترى إلى أين سيتحرك، ولكنه للمرة الأولى التي

يشعر فيها عابد بعدم اللوم على أبيه لكونه فضَّل البقاء في ذلك المكان أو الزمان بمعنى أكثر دقة.

فكَّر عابد في البداية أن أباه محتمل أنه يعمل تاجرًا في مكان ما هنا، بالتأكيد مهما تطورت الحياة الجميع يحتاج إلى التجارة والبيع والشراء مهما اختلفت ملابسات وآليات هذا الأمر، ولكن بعد لحظات جال في خاطره هاجس؛ ماذا لو أن أباه الآن كاهنٌ، ولكن جاءه الردُّ سريعًا داخله أن هل هؤلاء القوم يعبدون أي شيءٍ من الأصل؟!

أخذ يراقب ذلك الرجل الذي يتحرك في المكان، كان الرجل يتحرك أمام كل التوابيت الموضوع بداخلها تلك الكائنات البشرية الخاملة أو النائمة، فبدا كأنه يقوم بعملية إحصاء لهم فشعر عابد بانقباضة في قلبه في تلك اللحظات ماذا لو توقف الرجل أمام ذلك التابوت الفارغ الذي خرج منه عابد نفسه، كان يعلم أنه ذلك الرجل بالتأكيد سيسعى للبحث عن تلك الجثة الهاربة، وبالفعل كانت كل أفكاره في محلها، تعجب الرجل بشدة حينما شاهد ذلك التابوت الفارغ وأخذ يلتفت حوله في تعجب شديد، توقف لحظات يفكر في الأمر ثم فزع بشدة كأنه تذكر أمرًا ما، كأن تلك الحادثة ليست الأولى من نوعها، فهي بالتأكيد ليست الأولى فعابد ليس المسافر الوحيد عبر الأزمان، تحرك الرجل سريعًا وأخذ يضغط على أجراس في كل مكان بالمعمل حتى يجذب الانتباه له وينبه الجميع بهروب إحدى تلك الجثث وحينها علم عابد بكل تأكيد أن

بقاءه داخل ذلك المعمل ليس بالأمر الحميد.

***

لم أعد أتحمل سماع تلك الكلمات ولا ذلك الوصف المبالَغ فيه ولا أنصت إلى سريالية لا معنى لها، قاطعت ذا اللحية بملل شديد ونظرت إلى جثة عابد الملقاة على أرض المقطم وسألته بشكل مباشر:

- كفاك تفاصيل أكثر فقط ادخل في صلب الأحداث، أين عابد وما علاقة كل هذا بذاك؟! وحينما كان عابد في تلك الأرض.. أين كنت أنت حينها؟!

نظر لي ذو اللحية وقال في غضب:

- يا نور الدين، أنا كنت سيد أطلانطس، لم يفت وقت طويل حتى اكتشف عابد ذلك الأمر.

كانت الإجابة غريبة وغير مفهومة فحاولت سؤاله من جديد:

- أتقصد أنه...؟

ولكن ذو اللحية قاطعني:

- أنا وصلت إلى تلك المدينة قبل عابد بفترة طويلة

حسب تقديرها هنا محتمل عشر سنوات كاملة.

لم أفهم شيئًا وأخشى سؤال عن تفاصيل يعود أديب إلى الحديث البطيء الممل، ولكن فضولي كان أعمق وأقوى فسألته على أي حال:

- وكيف وصل ذلك أديب إلى تلك المكانة؟! كيف تقبل هؤلاء القوم وجود أديب وعابد وأمثالهم المسافرين عبر الأزمان.

أجابني أديب بعد لحظات من الصمت:

- مثلما قلت، مسافرون عبر الأزمان، كانت تلك الأمور بمثابة معجزات بالنسبة لهم، ولكن أنا لا أعلم تحديدًا كيف تقبل أهل أطلانطس وجودي في الصورة حتى وصلت إلى حكمهم..

- وماذا حدث بعد ذلك؟!

فكر لحظات ثم أجاب:

- لا أعلم، الأمور كانت معقدة كثيرًا.

تقدمت ناحيته خطوتين وبصرامة:

- فقط أخبرني!

شرد ذهنه كأنه يتذكر شيئًا ما ثم جاء رده:

- الأمر كان يشبه الثورة يا أخي، عابد اكتشف بعد وقت قليل أنني مكروه جدًّا في أطلانطس، وأن أهل البلد يستعدون من أجل إقامة تمرُّد أو ثورة ضدي، ظنَّ عابد حينها ملامح الشر ظهرت مبكرًا على أبيه.

ظللت أنظر له ولا أفهم معنى كلماته، ورمق أديب الأمر في عينيّ فتنهد الرجل وأردف:

- كان الكل غاضبًا، الكل يعمل وقتًا طويلًا جدًّا، الجميع غاضب من قلة الأجور، عابد سمع الكثير من الناس في الشوارع تتحدث عن ذلك المختل الذي يحكمهم وأنه ليس إلهًا كما كان يدعي، مؤسف أنني فعلت ذلك، حتى قدومي عبر الأزمان مجرد طفرة حدثت بالحظ لا أكثر وأنني لا أمثل أي شكل من أشكال المعجزات، كان الكل يتمنى سقوطي اليوم قبل الغد.

أضاف أديب مكملًا حديثه:

- اشتدت الثورة وبدأ المواطنون هناك في الهجوم على المناطق الحرجة بالمنطقة، تم إحراق الكثير من الأشياء حتى اقتربوا بشدة من القصر الملكي، وهناك شن هجوم قويّ، قام بعض المواطنين بمحاولة هدم السدود على جانبي

المدينة فحدث ما حدث غرقت المدينة كلها.

جاء سؤالي هذه المرة خارج السياق الدرامي للقصة، ولكن من يقاوم فرصة معرفة سبب انتهاء حضارة عملاقة مثل أطلانطس..

- ولماذا أغرقوا المدينة؟!

لم يتوقع أديب ذلك مني لذلك لم تأتِ الإجابة سريعة منه، فبعد لحظات أخبرني:

- كانوا يؤمنون أن البشر وصلوا إلى مرحلة ضخمة من العلم، كانوا يؤمنون أنه آن الأوان لهدم كل شيء والعودة إلى نقطة البداية، خاصة بعدما قام الكثير من أهل أطلانطس بمحاولة جدية لاستنساخ البشر وصنعوا عددًا كبيرًا من المجتمعات.

- يا إلهي، هل تظن أن الجنس البشري الذي يعيش الآن هم من صناع أهل أطلانطس.

- لا أعلم هذه النظرية ولكن محتمل أيضًا أن نكون سلالة الناجين منهم، ذلك الأمر لا إجابة دقيقة له.

عدت إلى صلب الحديث من جديد وتساءلت:

- حسنًا، وماذا كان دور عابد في تلك الأثناء؟!

- كان عابد يود بشدة قتلي وتخليص العالم كله من ذلك الشر المتنقل، ولكن حينما وقف أمامي ارتعشت يداه وعجز عن تنفيذ الأمر تمامًا.

***

خرج عابد من ذلك المختبر بعد مدة وجيزة حاول خلالها التسلل عدة مرات حتى استخدم نافذة قريبة من الشارع نوعًا ما، قفز وهبط فكادت أن تنكسر قدماه ولكن واضح أن ذلك الجسد الجديد الذي يستخدمه أقوى من القديم، ولاحظ عابد ذلك من خلال حجم العضلات الموجودة في فخذيه وقدميه وأيضًا ذراعيه.

ارتدى الفتى بعض الملابس التي تشبه ملابس المصريين القدماء، ولكن نسخة متطورة عنها كما ذكرنا من قبل وحاول الاندماج بين الناس حتى لا يتعرف عليه أحد، ولكن كان واضحًا جليًا أن عابد مختلف نوعًا ما عنهم، تقريبًا عابد الوحيد الذي كان أصلع ولا يتمتع بتلك الشعيرات البيضاء كالباقين، كانت العيون تراقبه بعض الشيء ولكنه كان يحاول الابتعاد سريعًا عن ذلك المكان حتى لا يتم القبض عليه وهو لا يعلم ما مصيره في تلك الأرض.

كان عابد حينها متواجدًا في مكان يشبه السوق، وكانت حركة البيع والشراء فيها تتم بطريقة تشبه كثيرًا ما نحن عليه في عصرنا الحالي، الأناس كانت تدفع عملات ذهبية وتأخذ مقابلها ما تشاء ولكن الاختلاف الوحيد كان في تلك السلع التي يشتريها الناس، حاول عابد فهم ما يباع هنا، ولكن قطع فضوله كلمات بعض المارة وهم يقولون إنهم ينوون الهجوم ليلًا على قصر الملك حتى يتم التخلص منه نهائيًا وقتله إن لزم الأمر.

***

هنا توقَّف أديب عن السرد ونظر لي قائلًا:

- أعلم أن بداخلك سؤالًا الآن!

أومأت له بالإيجاب فسألته:

- هل سفر عابد إلى الماضي حتى ينقذك هو من تسبَّب في تمردك وصناعة ذلك الكيان الشيطاني؟!، هل يا ترى لو لم يسافر عابد إليك لما تمردت حينها ولما أصبحت شريرًا وبالتالي ينتهي كل شيء..

نظر ذو اللحية نحو اللا شيء وقال:

- صديقي، عابد هو الكيان الشيطاني ذاته، وليس أنا

الأب.. أنا أديب هل أبدو لك شريرًا؟!، هل أبدو لك قاتلًا؟!

لم أفهم معنى الكلمات واكتفى أديب بذلك الأمر وقام استئناف حكايته.

***

وصل عابد إلى القصر الملكي وهناك تسلل من خلف الحراس وقتل اثنين في طريقه ثم تسلق أحد أعمدة القصر، كان جسده كأنه مبرمج على التسلق والقتال والاغتيال وغيرها من الأمور القوية والمثيرة، كانت مفاصل جسده كلها تتحرك بسهولة حتى إنه لم يبذل مجهودًا كبيرًا في التسلق، وجد عابد نفسه أنه قادر على حمل جسده كله بيديه بدون أن يشعر بأي تعبٍ أو إرهاق، وصل عابد إلى أقرب نافذة ثم دخل القصر وأخذ يبحث عن والده في الأرجاء كلها، ولكن المكان كان خاليًا تمامًا من أي بشري، أخذ يتحرك بحرية أكثر وهو يسمع صيحات الثائرين تقترب من القصر، بدأ ينتابه شعور أن والده ترك ذلك المكان وهرب ولكن فجأة صوت ضحكات سيدات قادمة من غرفة في نهاية الطرقة فتحرك ناحيتها وركل الباب بقدمه فانتزعه من مكانه بسهولة، فوجد عابد أباه بصحبة سيدتين في أوضاع مخلة، صرخت السيدتان في فزع من ذلك الغريب الذي اقتحم غرفة نوم الملك، وهنا رأيت عابد للمرة الأولى في الماضي ولكنني لم أتعرف عليه

في تلك اللحظة.

ما هذا بحق الجحيم؟! كيف لك أن تدخل إلى هنا؟! أين الحراس لإعدام ذلك المختل؟!.. يا حراس!

تجاهل عابد كلماتي، كان ما زال يعتقد أنني الشرير في تلك القصة والحكاية فلم يحمل عائقًا على صدره من كلماتي الغريبة، فقال لي بحزم:

- الحراس كلهم رحلوا، أنت تتعرض للخيانة.

أكاد أن أرفض كلمات عابد، ولكنني فجأة سمعت اقتحام الثوار للقصر وأخذت تتعالى صيحاتهم في المكان وهم يبحثون عني للتخلص مني إلى الأبد.

دفعت الفتاة بعيدًا عني ونهضت مسرعًا أنظر من النوافذ فبدأت أدرك خطورة ما يحدث حولي، أخذت أفكر في كيفية الهرب من ذلك المأزق ولكن قطع عابد حبل أفكاري.

- يجب أن تنقل وعيك حالًا إلى إحدى تلك الفتيات.

نظرت إلى عابد وتساءلت:

- وكيف أفعل ذلك بحق الجحيم؟!

صدم عابد أنني لا أعلم كيفية نقل الوعي، كان مندهشًا لأن ذلك الأمر هو أول ما تعلمه ابني فور مجيئه إلى ذلك الزمن المثير، وبعد لحظات أدرك الكارثة الأكبر بكونه من علَّم الساحر القدرة على نقل الوعي ومن ثم القدرة على الخلود، بدأ يتردد في إنقاذي شعر أن مدخل ما يفعله حتى الآن هو إعدادي حتى أكون أشر مخلوقات الأرض، بدأ الثوار يقتربون من المشهد، بدأ يرى الخوف في عينيَّ ، يعلم عابد أنه لا وقت للتفكير، شيطان عقله صوَّر له أنه بالإمكان إنقاذي حاليًا ثم إصلاح خلقي لاحقًا أو قتلي أن لزم الأمر

- ماذا سنفعل يا بني؟!

نظر عابد إلى إحدى الفتاتين وأجابني:

- أتمنى ألا أندم على ذلك لاحقًا.

***

قلت مندهشًا من تلك المفاجأة:

- مستحيل، أنت تقصد أن عابد هو من علَّمك سحر الانتقال من جسدٍ إلى آخر، أليس هذا غريبًا؟!

ردَّ أديب وهو ينظر إلى جثة عابد الملقاة على الأرض:

- مجرد حظ لأن عندما سافرنا عبر الزمن مكان وجود ابني أكثر تميز عني فكان على عِلمٍ كيف يتم نقل الوعي، كما لم يكن سحراً يا أخي، بل علم، منتهى العلم يا نور الدين.. منتهى العلم يا ابن الظلام.

صمت لحظات ثم تنهد:

- وماذا حدث بعد ذلك؟!

شرد ذهن الرجل:

- ترك كل منّا جسده وانتقل إلى الفتاتين وهرولنا إلى خارج القصر سريعًا، وبعد أن استقرت الأمور وصرنا بعيدًا عن الخطر حدث حوار جديد بيننا..

***

بعد الأحداث بعدة ساعات، وقفنا نشاهد آخر مدن الحضارات الأولى تتساقط أمام عيوننا، كان طوفانًا هائلًا يعصف بالمدينة كلها، ينابيع المياه تنفجر من باطن الأرض وتتهشم السدود على حدود أطلانطس فيغرق أهلها جميعًا عدا فئة قليلة جدًّا تتمكن من الهرب مثلما فعل عابد، ولكن الخسارة الكبرى كانت في حرص المتمردين على حرق المكتبات وكافة المعلومات التي تساعد على استمرار التطور، تجاهلت المشهد كأنني أشعر في داخله أنني

لا أنتمي إلى هذا الوطن، كان عقلي يرفض تقبُّل وجودي هنا أو مشاعري دائمًا تذكرني بكوني مجرد مسافر عبر الزمن، مجرد ضيف على كل الأزمان، قلت إلى ابني وهو يجهل حقيقته تمامًا:

- أشكرك بشدة يا بني، أشكرك جدًّا، لولاك كنت غرقت مع الغارقين.

كان مشهد الإبادة يعصف بقلب عابد، وكاد لا يسمع كلمة واحدة ولكنه أجاب على أي حال بمشاعر مختلطة جدًّا:

- أعلم أنني سأندم لاحقًا على فعل ذلك الأمر.

كنت لا أفهم سبب ندمه، فقلت مدافعًا عن نفسي بقوة:

- لا، مستحيل أن تندم، أنا دومًا لا أنسى الصالحين أمثالك، بني، هؤلاء مجرمون وأنت فعلت الصواب، كيف كنت ستنام الليالي وأنت تترك بريئًا يتم إعدامه بدم بارد، أنت لم تفعل شيئًا سوى الصواب.

في تلك اللحظات كانت أطلانطس تغمرها المياه بالكامل، قال عابد بحزن شديد بدون أن ينظر لي:

- لو لم تغرق تلك المدينة الآن لكان حال البشرية مختلفًا تمامًا لاحقًا، يا حسرة على علمٍ ستأكله الأسماك في تلك الليلة.

ساد الصمت حتى قلت متسائلًا:

- هل أنت ذو دماء أصيلة لأطلانطس أم أنك مُصطفًى من العوالم الدنيا للعيش والعمل فيها؟!

حاول عابد فهم معنى الجملة الأخيرة عن اصطفاء الآخرين من القبائل الأخرى، ولكنه لم ينجح في تفسير ذلك تفسيرًا كاملًا فتجاهل الأمر وأجابني معترفًا:

- مهاجر إليها يا أبي، مهاجر عبر الأزمان.

كلمة أبي كانت غريبة على أذني في تلك اللحظات، كلمة جالت في خاطري وذكرتني بالعديد من الأشياء القديمة، تذكرت تلك اللحظة التي حاولت فيها إعادة الثلاثة أطفال الضائعين، وكيف آل بي الحال إلى تلك اللحظة، كنت لا أصدق أن من أنقذ حياتي هو ابني عابد، تساءلت حتى يتأكد من الأمر:

- مَن تكون يا فتى؟!

نظر الابن لي وردَّ السؤال بآخر:

- ألا تعلم من أكون يا أبي؟!، أنا عابد.. أنا ابنك!

تأكدت من حقيقة ذلك المنقذ والمخلص فاقتربت من ابني وأمسكت كلتا كتفيه:

- مستحيل عابد؟!، معقول أهذا أنت؟ كيف وصلت إلى هنا؟!

لم يسمع عابد كلمة واحدة وردَّ مغيرًا دفة الحديث كله:

- العالم كله يتمنى موتك، علمت في المستقبل أنك قمت بمذابح هائلة، أنت قتلت الآلاف يا أبي، أنت أسطورة شيطانية نخيف بها الأطفال في زمننا.

لم يكن يتخيل أديب ما يخبئ له المستقبل فقال مشككا في الأمر:

- لم أفعل ذلك بعد!.. مستحيل أن أفعل ذلك الأمر!

عابد مؤكدًا الأمر:

- بل ستفعل ما هو أسوأ من ذلك، أنت مدمر وقتلت الجميع.

وجد أديب أنه لا مفر من تلك الاتهامات، وأن قدره

حتمي وتلك المذابح ستحدث آجلًا أم عاجلًا وأنه سيلعب دورا كبيرًا فيها بل سيكون سببها الرئيسي فأخذ يتخيل الأمر لحظات، وتساءل داخله عن السبب الذي سيدفعه ذات يوم حتى يقتل الجميع بتلك الطريقة الدموية الفاشية، أخذ يتساءل لماذا سيكتب عنه التاريخ تلك الحماقات لاحقًا.

- بالتأكيد لو حدث ذلك سيكون دافعًا عن نفسي، إنني لا أقتل أحد سوى لإنقاذ حياتي يا فتى، ألم ترَ ما فعلوه هؤلاء الهمج، أطلانطس أنت رأيتها تغرق بأعينك، هل تظن أن تلك ثورة، بل كان خرابًا، أنا لست مجرمًا ولن أصبح واحدًا منهم، أنا أعلم ذلك جيدًا، حتى إنني لم أتطلع إلى القدوم هنا من البداية، أنت تعلم لماذا أتيت إلى تلك الحقبة الزمنية، لم آتِ سوى لإنقاذ بعض الأطفال التائهين عبر الأزمان.

- أنت كنت حاكمًا ظالمًا، الكل كان يتحدث عن ظلمك وبطشك.

- يا بني المجد يحتاج إلى تضحيات كبيرة، أنا كنت أنقذهم من أنفسهم، أنت تعلم الحقيقة.. أنت تدرك أنني محق!

***

قمت بسؤال ذلك الرجل عن سؤال يؤرقني بشدة وأخشى أنني أطعن به على صدق القصة كلها من البداية حتى النهاية:

- أليس غريبًا ألا تتقاطع خطوطكما مرة أخرى رغم أبدية حياتكما؟!، عاش كل منكما قرونًا طويلة ومع ذلك لم ينجح أحدكم في التخلص من الآخر!

نظر لي الرجل مبتسمًا كأنه كان يتوقع مني السؤال:

- سؤال متأخر جدًّا، ولكن مَن قال ذلك؟!، من أين أتيت بذلك الاستنتاج؟

حسنًا كانت كلماته مثيرة جدًّا هذه المرة وتنبئ بعدد هائل من الحكايات والمواقف التي جمعت بين أفراد الأسرة المتنازعة المتحاربة عبر العصور والأزمان.

- إذًا حدثت مواجهة أخرى بينكم؟!

أجابني الرجل في الحال وهو ينظر بعيدًا:

- عدة مرات..

ثم نظر لي وأردف:

- حينما تقابلنا من جديد وجدت ابني مختلفًا، أكثر

قسوة وأكثر شرًا، حينذاك كنت أعيش بالقرب من بلاد فارس حينما سمعت عن ساحر ملعون يعيش بالقرب من مصر وينشر الفساد والقتل هناك، توقعت أن يكون ابني وبالفعل كان كذلك، فذهبت إليه ولا تنسَ أني أنا من أوقفته في تلك القرية الملعونة، أنا من تدخلت وقمت بخداعه حتى جلبته إلى أرض بور جرداء بعيدة عن كل شيء حتى لا يمنح روحه إلى جسد آخر وهناك دمرته بل وقمت بدفنه ثم لعنت الأرض كلها حتى لا يغادرها مطلقًا.

قاطعته وسألته رغم أنني شبه أعلم بالإجابة، ولكنني كنت أريد أن أتأكد تمامًا من فهمي لما يحدث.

- عابد كان على يقين أن ما يعيش في جسد لاميس هو أبوه أديب، أي أنتَ!.. كان يعلم أنك الشرير هنا.

ردَّ أديب بملل:

- أنت أحمق!، أخبرتك أنا لست القاتل ولا الشرير هنا.. حسنًا سأخبرك من جديد.. عابد كان يظن أنني الشرير؛ فقرَّر العودة بالزمن حتى ينقذ روحي أو يقتلني وحينما ذهب إلى أطلانطس وجد أهلها في حالة من الثورة ضدي فتأكدت له المفاهيم بكوني الشرير الواجب قتله.. ولكن عابد كان مخطئًا.. أنا لم أكن الساحر ولا الشرير، محتمل أخطأت في إدارة أطلانطس، ولكنني لم أكن

قاتلًا.. ولكن عابد قتل العديد وأحرق مدنًا بأكملها لاحقًا في سبيل إنقاذ نفسه أو الوصول إلى أهدافه.

وأكملت الحديث:

- الأمور تعقدت فيما بعد وتم أسر الكاهنة هناك وحدث ما حدث..

قام بتأييد كلماتي وكررها:

- نعم، حدث ما حدث..

- يا إلهي!

قال الأب بحزن كأنه يتذكر شيئًا ما:

- حدثت عدة مواجهات بيننا، وكانت قاسية جدًّا وتمتلئ بالدماء والخيانة، هتلر على سبيل المثال..

وهنا لم أفهم جيدًا فسبق لساني عقلي وتساءلت في ذهول:

- هل عابد كان في جسد هتلر؟!

صمت لحظات ثم قال غاضبًا من عدم تركيزي:

- بني!، عابد في جسد الكاهنة لم يغادر جسدها قَط طوال الألفين عام السابقين، عابد لم يكن هتلر ولكن كان عرافته الجميلة المثيرة، ألا تعلم عرافة هتلر؟! النازي استغل كل ذرة في جسد عرافته حتى تساعده إلى بلوغ مبتغاه، ما بين حكم العالم وحرق اليهود، عاش ملكًا ملعونًا متعطشًا للدماء، عابد أثناء وجوده داخل الكاهنة لاميس جعلها عاهرة المعبد بشكل حرفي، كانت عاهرة هتلر وقامت بوعد الطاغية بمُلك وجاه لا ينتهي فلمعت عين النازي حتى شاع في الأرض فسادًا، وأعتقد لست في حاجة لأن أقول إنه لم ينتحر كما يشاع، بل أنا مَن دمَّرته، أنا من قتلت هتلر وأخفيت جسده العفن إلى الأبد، حاولَتْ العرافة تهريب الملك النازي إلى أرض الجنوب، ألا تعلم أن القارة الجنوبية محرَّم زيارتها حتى لا يتعرف أحدٌ على القبائل المخيفة هناك!، لا عليك هذا ليس أمرًا الآن.

سألت أديب باستنكار:

- وعابد، لماذا تركته يرحل؟!

أجابني ولكنني لم أصدقه.

- لأنه هرب حينما تعقدت الأمور، دومًا يفعل ذلك!

همهم أديب قائلًا:

- هذا إعادة صياغة التاريخ كله.

أضاف الرجل:

- يا بني ابحث عن كل طاغية عاشت في التاريخ ستجدني وعابد نتقاتل فيها بصور عدة ومنهم ساحرات العصور الوسطى وأيضًا حكمنا العديد من البلاد والأمم.

لم أصدق ما أسمعه من كلمات، فلم أحاول التساؤل أكثر، بالتأكيد كل اسم من تلك الأسماء خلفه حكاية وملحمة ضخمة حدثت بين الأب وابنه، قلت له:

- يا إلهي! أنت كنت حاكم بلاد؟!

- الكثير يا بني، الكثير.

تذكرت أمر الساحرات، وتوقعت أن عابد تم أسره هناك واتهامه بالهرطقة، وبالتأكيد حكم عليه بالإعدام.

- والساحرات؟

ردَّ أديب بنفس الكلمات التي ظننتها:

- تم الإيقاع بجسد الكاهنة وكادوا أن يحرقوها، أنا من أعدَّ المكيدة حتى يتم الإيقاع به وتدميره وكادوا أن ينجحوا ولكن...

هنا توقف عن الحديث يفكر في الأمر، ارتجف جسده وتعرقت جبهته فشعرت بهول تلك الأحداث وهنا تساءلت بفضول:

- لكن ماذا...

- أنا أيضًا من أنقذته..

- لماذا؟!

أجابني بشكل أحبطني للغاية:

- لأنه ابني.. لم أتحمل أن أراه يحترق.

ظللت صامتًا فأضاف أديب:

- ابني حينما سافر عبر الأزمان، ذهب حتى ينقذني، لم يتحمل مشهد موتي وثورة أهل أطلانطس ضدي.. رغم كل شرور عابد إلا أنه ما زال يحبني، أنا أعلم ذلك، أشعر به.

حاولت الرد، ولكن لساني كان ثقيلًا جدًّا وعاجزًا عن الأمر:

- ولكن...

قاطعني أديب سريعًا وهو يسمح دمعة كادت أن تسقط على وجنتيه:

- أعلم كل ما تريد قوله، لا عليك هذه المرة سأفعل ما يجب فعله..

أنهى أديب حديثه وحكايته الطويلة وظل ينظر نحو أضواء العاصمة، كان عقلي حينها شارد الذهن أحاول جاهدًا فهم كل ما قيل، شعرت بعد لحظات أنني أستوعب تفاصيل تلك الحكاية، وهمهمت بدون أن أنظر له:

- يا إلهي! عابد أراد مقابلة نفسه في الزمن الحاضر حتى يستفز فضوله ويقنعه كذبًا أن الساحر هو أبوه أديب فيقرر عابد العودة إلى الماضي وبذلك تستمر دورة حياته، وأنا من قمت بذلك الوصل بينهما، أنا من وجدت عابد زمننا الحالي وجعلته يتواصل مع ذلك الآخر الممتلئ بالشر.

نظرت إلى ذلك الرجل الحكاء وقلت له:

- أنت الأب، أنت أديب، أنقذك ابنك مرة ثم حاولت أنت إيقافه عن طغيانه ألف مرة، كما أنك حاولت إيقافي أمام باب السجن حتى لا ندخل ونتقابل مع لاميس.

انتهى الحديث بيننا فلم يعد هناك ما يقال، ظل الصمت لحظات حتى سمعنا ضحكات أنثوية تحيط بنا، لم أتخذ وقتًا طويلًا حتى تعرفت تلك السيدة الضاحكة أنها مريم الراهبة، علمت أن عابد كان بالقرب منا ويسمع كل ما يقال، نظرت إلى مصدر الصوت، فرأيت لاميس تقف أمامنا، نظرت السيدة إلى أديب ذي اللحية الذي يقف جواري وقال عابد على لسانها:

- أبي، كم تعجبني هيئتك الجديدة.. عجوز جدًّا كالعادة.

أزال الأب عن جسده ذلك الرداء الفضفاض ووقف متعري النصف العلوي من جسده، كانت عضلاته بارزة وعروقه منتفخه، أخرج سيفًا قديمًا لا أعلم من أين جاء به، فلم أكن أتذكر أن ذلك السلاح كان معه أثناء حديثه، وأعتقد أن ذلك السلاح هو المخصص لقتل الكاهنة لاميس وتجريدها من خلودها، ولكن لا يهم الآن، رأيت السيدة أيضًا تزيل الكثير من الملابس عنها حتى وقفت بملابس قصيرة تساعدها على الحركة، لم تكن السيدة متقدمة في العمر كما كنت أظن، بل كانت ملابسها هي من تمنحنا تلك الصورة الخاطئة عنها، رغم أن عابد يستحوذ على جسد تلك السيدة إلا أن نظرته كانت نظرة الفتى نفسه، كيف لم أرَ ذلك من قبل؟ كيف حينما جلسنا سويًّا في السجن لم أدرك أن من يجلس جواري هو عابد ومن نحاورها هي أيضًا عابد ولكن في زمنٍ آخر، حملت السيدة سيفًا والأب سيفًا وتبادل كل منهما

النظرات وساد صمت لحظة، صمت جميعنا نعلم أنه ما يسبق العاصفة.

بدأت المعركة بين الطرفين، كل منهما بداخل جسد ليس له، عابد الكيان الشيطاني المسافر عبر الأزمان داخل جسد الكاهنة لاميس.

أما الجانب الآخر كان شخصًا مثيرًا للجدل بالنسبة لي، لا أملك قدرة ذهنية قوية للحكم عليه، قام بالكثير ولكن لن أنكر حسب حكاياته أنه كان درع فولاذ أمام سرور ابنه، كل منهم كان يحمل سيفًا، كل منهم يريد أن تنتهي المعركة على الطريقة القديمة، الطريقة التي عاشوا قرونًا يتدربون عليها.

قال عابد بصوت أنثوي:

- كان يجب أن أقتلك في أطلانطس، إنقاذك كانت خطيئتي التي لا تُغتفَر أبدًا..

بينما قال أديب:

- دمرتك ذات مرة وقمت بدفنك، ولكن خطيئتي أنني تركت جسدك وعاءً يحمل وعيك القذر.. لا أخطاء هذه المرة.

أومأ عابد وهو يشهر سيفه ويجري ناحية أبيه وكرر كلمات والده:

- لا أخطاء هذه المرة..

تصادم السيف بالسيف واشتدت المعركة بين الطرفين، فكرت في مساعدة أديب في هزيمة ابنه ولكنني على بُعد أميالٍ من تلك القوى الرشاقة التي يتحرك بها كلا الاثنين لم أجد لي مكانًا سوى الابتعاد ومشاهدة الأمر فقط.

استمر القتال بين الطرفين بضع دقائق، وكانت بوادر الهزيمة واضحة على الأب، شعرت أن عابد يستمد جزءًا كبيرًا من قوته من جسد الكاهنة، كان عابد يقاتل بقوة واقترب الاثنان من حافة الجبل والخوف يعتصر قلبي عصرًا لأنني أعلم أنه لو مات الأب ونجا عابد من تلك المعركة فلن يرحمنا منه أحد.

- يا الله ارحمنا، يا الله دمر ذلك الكيان الشيطاني أرجوك!

ولكن ما حدث عكس ما أرد طعن الابن صدر أبيه فصرخ الأخير متألمًا. سقط أديب على ركبتيه وسقط السيف من يده وأخذ يلفظ أنفاسه الأخيرة ولكن قام عابد بإطاحة رأس أبيه الجريح وألقى بها من أعلى الجبل قائلًا:

- لا أخطاء بعد اليوم..

هنا شعرت أنه لا مجال للاختباء أكثر، لم أكن أملك أي قوى أو فرصة للمواجهة، محتمل أن الفرصة الوحيدة من هزيمة ذلك الكيان هي المباغتة، أخذت أجري ناحيته ثم قمت بأخذ السيف من الأرض وقمت بطعنه في ظهره، فسقط عابد أرضًا بسرعة حقًا نجحت في الأمر بشكل نسبي، ولكن ذلك الملعون أمسك بي وهو يتألم وقال:

- إذًا لنرحل سويًا..

صرخت وأنا أرى سيفه يخترق كتفي، حاولت دفعه بأي شيء ولكن هيهات أن أمنعه، بدأ يتمم بكلمات غريبة فشعرت بروحي تنسلّ من بين أناملي، صرخت من جديد وأنا أرجوه أن يتوقف عن تلك الكلمات والعزائم، وفجأة ساد الصمت تمامًا وأنا أرى الكاهنة لاميس جثة هامدة أمامي بدون رأس، أغلقت عيني وأنا أعلم أنني أغلقها للمرة الأخيرة!

***

استيقظت بعد فترة لا يعلم مقدراها سوى الله فقط، كان المكان مختلفًا تمامًا عن تلك الأجواء المخيفة السابقة، كانت حالة الفزع نفسها ما زالت تسيطر على جسدي، تسارعت دقات قلبه وصحت بقوة من أجل ضرورة

التخلص من الشيطان وقتل عابد ومحتمل أنني أردت أيضًا التخلص من أديب نفسه وأيضًا الكاهنة، كنت أمقت كل من تلاعب بالأزمان وشارك في تلك الجريمة سواء بقصد أو عدم قصد، جاءني ذلك الصوت الذي يهمس في أذني من جديد وسمعته يقول لي:

- استيقظ يا صديقي القديم، أخبرتك أنها قصتك الأخيرة. صديقي القديم، ليس هناك وقت، انهض قبل أن يعود، أخبرتك أن الجسد دمية الروح.. ولكنك لا تنصت، إنها فرصتك الأخيرة يا ابن الظلام، فرصتك الأخيرة لترى ما فعلته من أجلك!

كنت محاطًا بحوائط بيضاء فحسبت أنني فارقت الحياة للوهلة الأولى، ولكن لاحقًا انساب إلى صدري شعور أن ذلك المكان مجرد مستشفى وأنني نجوت بطريقة ما من الأمر، حاولت النهوض ولكن الأمر شديد الصعوبة، جلست على طرف الفراش والدوار يلعب دورًا ليس بالهين، الأرض تتراقص وكذلك الحوائط، نظرت إلى الأسفل وأمسكت برأسي ومرت تلك اللحظات بطيئة جدًّا حتى عادت الدورة الدموية إلى سابق حركاتها ونشاطها، نهضت وأخذت أتفحص الغرفة من حولي، الأمر غريب كأنه هناك أمر ما غير مألوف حولي، تحركت نحو باب الغرفة وقُمت بفتحه فوجدت نفسي أمام سور طرقة طويلة، كنت حينها في الطابق الثاني، فاقتربت من الحافة ونظرت نحو الأسفل وجدت بهوًا هائلًا، علمت حينها أن ذلك

المكان ليس مستشفى كما ظننت بل قصرًا هائلًا كأنه يعود للعصور الوسطى.

قال الصوت في أذني من جديد:

- ما رأيك فيما تراه؟!، الأمر مثير أليس كذلك؟

تساءلت هذه المرة ووجهت سؤالي إلى ذلك المتحدث داخل عقلي مخالفًا كل أوامر الأطباء بألا أفعل ذلك، ولكن الفضول كان يقتلني قتلًا:

- أين نحن؟!

ضحك الصوت بهستيرية كأنه شعر بالانتصار لأنني أتجاوب معه أخيرًا بعد أوقات طويلة من الانقطاع وأجابني:

- من الأفضل أن تكتشف بنفسك يا صديقي القديم.

تسارعت دقات قلبي وخشيت أنني نلت ما ناله عابد وأبوه من تحركات غير منطقية عبر الأزمان، عدت إلى الغرفة وأخذت أبحث عن أي وسيلة تخبرني فيها عن التاريخ الحالي فلم أجد شيئًا سوى منبه رقمي موضوع جوار فراشي، كان هيئته تؤكد أنني لم أغُص ذلك دوامة الزمن، كنت متأكدًا أن ذلك المنبه الرقمي المميز لم يتم اختراعه

قبل تلك الألفية، شكرت الله بداخلي ولكنني ما زلت لا أفهم الأمر جيدًا، اقتربت من ذلك المنبه أحاول أن أجد طريقة لعرض التاريخ ولكنه لم يحتوِ على أي زرٍّ للضغط عليه، أمسكته في فضول شديد وأخذت أنظر له يمينًا ويسارًا في فضول، وفجأة سمعت صوت أنثى تتحدث:

- هل كل شيء على ما يرام يا سيدي؟!

نظرت إلى خلف مصدر الصوت، رأيت سيدة شديدة الجمال والأنوثة والإثارة، ظللت صامتًا غارقًا في ملامحها وفتنتها.

همس الصوت في أذني:

- أترى؟!، أنا من قمت باختيارها من أجلك! ألا تشبه طليقتك القديمة؟ أعلم أنك تحب تلك الهيئة في النساء.. اقترب منها، التهمها حالًا.

قاطعت السيدة الصمت وقالت بصوت يمتلئ بالشهوة والرغبة:

- واضح أن الليلة مع سيدي ستكون مختلفة عن كل الليالي السابقة، أرى في عينيك نظرة لم أعهدها منذ سنوات طوال، أشتاق لك يا سيدي، أشتاق لك كثيرًا.

أي ليالٍ سابقة، لماذا لا أتذكر أي شيء؟! فقلت لها:

- هل نحن زوجان؟!

نظرت لي بغضب وأجابتني:

- هل تسخر مني؟!

لم أفهم ما مجال السخرية في كلماتي، فقلت محاولًا تعديل الأمر:

- أخشى أنني مرتبك بعض الشيء، لا أعلم.. إنه الصداع أظن، نعم.. نعم إنه الصداع، أشعر أن الدماء سوف تنفجر في رأسي.

هنا همس الصوت في رأسي:

- رأسك؟!

تجاهلت الصوت واقتربت السيدة مني وواضح في عينيها أن الكثير من الأحداث سوف تحدث الآن، وضعت المنبه على الطاولة مستعدًا لتلك المباراة مستسلمًا للأمر ومتجاهلًا كل شيء، ولكن واضح أنني ضغطت على شيء ما في ذلك المنبه فنطق بكلمات صعقت قلبي صعقًا:

منتصف الليل.. الخامس من أكتوبر، كانت الصاعقة

الأولى بالنسبة لي، أي أكتوبر بحق الجحيم؟! آخر ما أذكره أن الأحداث السابقة كانت في فبراير.

اقتربت السيدة بسرعة وكادت أن تقبلني، ولكن هنا المنبه أكمل كلماته وقال: ((الخامس من أكتوبر عام ألفين وخمس وثلاثين!!))

هبطت الكلمات بشكل صاعق على جسدي، انتصبت شعيرات بشرتي وتلاشت شهوتي تجاه تلك الفتاة، دفعتها بقوة وهرولت تجاه المرآة متوقعًا عجوزًا ما سوف أشاهده الآن، كيف مرت الأعوام بتلك الصورة المخيفة، أمام المرآة وجدت رجلًا يشبهني ولكن لم أعد سمينًا كما كنت بل مفتول العضلات، ملامحي أكبر بكل تأكيد ووجهي يحتوي على عدد قليل من التجاعيد المنحسرة حول عيني وشفتي، أعتقد أن عمري الآن الثامن والأربعون، ما هذا المزاح ما الذي حدثَ لي؟!، لعنة الله على عابد وأبيه وكل متلاعب بالأزمان..

قال صوت عقلي:

- ما رأيك في هيئتك الجديدة؟!، أنا من صنعت هذا..

قلتُ موجهًا كلماتي إلى ذلك الصوت:

- ماذا فعلت أيها اللعين؟!

ردَّ الصوت:

- ذلك الكيان المظلم الذي احتل جسدك كان عظيمًا ومطيعًا ومعًا فعلنا الكثير.

غضبت السيدة مني ورحلت على الفور، تحركت ناحية النافذة وقمت بفتحها وهنا كانت الصدمة الثانية، كان ذلك القصر على جبل مرتفع، نظرت بعيدًا نحو المدينة فوجدت أن كل شيء مدمر، الحطام والأطلال في كل مكان، تلك البلاد تعرضت إلى كارثة طبيعية أو حربية ما زلت لا أعلم بعد، عدت إلى المرآة من جديد ونظرت إلى انعكاسي فوجدته يبتسم لي:

- الحياة مثيرة داخل جسدك!

همهمت وقد اتضح كل شيء الآن:

- عابد!، أنت لم تمت.. أنت استحوذت على جسدي طوال تلك الفترة الماضية..

- خمسة عشر عامًا داخل جسدك.. أنت لا تتخيل ما حدث طوال تلك الفترة، أنت لا تتخيل ما فعلته بجسدك، ولكن يجب أن تشكرني، لقد تلاشت ترهلاتك وسمنتك وصرت مثيرًا والكل يتطلع إليك.. يجب أن تشكرني وتشكر ذلك الصوت المثير في عقلك، التعاون بيننا كان مفيدًا

جدًّا وساعدني كثيرًا في صناعة أمجاد لا يتوقعها بشر.

كانت كلماته صادمة، مخيفة، نظراته تبث الذعر في جسدي كله، أضاف عابد وهو يتحدث من خلف المرآة:

- الآن سوف أعود إلى التحكم بجسدك، أنا فقط أردت أن تشاهد ما حدثَ لك للمرة الأخيرة، سوف أسيطر على جسدك ولكن هذه المرة سوف أطمس وجودك إلى الأبد!

قلت بخوف وذل:

- عابد، أرجوك لا تفعل!.. ولكن فات الأوان وشعرت أنني أتلاشى، أرجوك أنا لا أريد الموت هكذا...

ولكن ساد صمت طويل..

صمت إلى الأبد..

أتمنى أن يجد أحدٌ كلماتي.. أتمنى أن ينقذني أحد!

نور الدين

تم الحصول على تلك الحلقة بواسطة مجهول عام ٢٠٣٩

مدوَّنة في مخطوطات قديمة ولا تفسير للأمر حتى الآن!

تمّت

أحمد شوقي مبارك

2020

أعمال المؤلف

- كش ملك- لعنة جسام

- كش ملك- الجاثوم

- كش ملك- السامري

- نبي رهن الاعتقال

- اعترافات كاهن

- معزوفة الشيطان